روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا!!

٣٦



الموت الأزرق

ملف المستقبل ● الموت الأزرق ● ٣٦ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

الموت الأزرق

- ما سرّ الرجال ذوى الوجوه الزُّرق الذين يثيرون الرعب فى الصعيد ؟
- ماذا لو اضْطُرَّ (نور) يومًا إلى مقاتلة أفراد الفريق أنفسهم ؟
- لمن يكون النصر فى النهاية ؟ لـ (نور) ورفاقه .. أم لحملة (الموت الأزرق) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) فى حل اللُّغز .

٣٦



الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : السماء المظلمة



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ـــ خطوات الرُّعب ..

تسلَّل النعاس إلى جفنى الدكتور (فؤاد عيسى) ، مدير مستشفى (مرسى مطروح) الجديد ، فتثاءب فى قوة ، وهزَّ رأسه وكأنه ينفض عنها الكسل ، ثم تطلَّع إلى ساعته ، فوجدها تشير إلى الرابعة من صباح ذلك اليوم الحار ، من أيام شهر أغسطس ، ودفعه هذا إلى التنهُّد قائلًا :

ـــ يا لها من ليلة طويلة !! وهذه النوبتجية تبدو كأنَّه لا نهاية لها ، حتى المرضى لم يصب أيهم بما يدعو إلى العمل .

وابتسم عند هذه النقطة بتكاسل ، فقد أدهشه أن يتمنَّى بعض التعب لمرضاه ، تخلُّصًا من حالة الملل التى سيطرت عليه هذه الليلة ، وعاد يتثاءب وهو يفرد ساقيه عن آخرهما أمامه ..

وفجأة .. تناهى إلى مسامعه صوت خافت منتظم ، من الممشى الطويل خارج الحجرة ، ووجد حواسه كلها تتنبه ، وكأن فى هذا خروجًا ، أو ثورة على حالة الملل ..

كانت الخطوات بطيئة منتظمة ، تقترب من حجرته فى إيقاع ثابت يعلو رويدًا رويدًا ، ولسبب ما شعر الدكتور (فؤاد) بخوف مبهم يسرى فى قلبه ، فنهض ، وتحدَّث إلى نفسه بصوت مرتفع ، وكأنه يطرد حالة الخوف التى سيطرت عليه :

ـ لا شك أنه أحد المرضى قد استيقظ و ....

وبتر عبارته فجأة ، وعقد حاجبيه بمزيد من الدهشة والقلق ، فلقد تذكَّر أن هذا المستشفى يضم فقط المرضى المصابين بكسور عنيفة ، تعجزهم عن المشى فترات طويلة ، وأن طاقم التمريض بأكمله من الآليين ، وتذكر بمزيد من الخوف أنه الرجل الوحيد القادر على المشى فى هذا المستشفى الضخم .

شعور عجيب ذلك الذى انتابه ، فقد وجد جسده كله يرتجف ، كأنما قد شاهد مشهدًا مرعبًا ، وسمع صوت أسنانه وهى تصطك بعضها ببعض ، ولكنه لم يلبث أن تغلَّب على المشاعر جميعها ، وهتف فى حنق :

ـ من الذى يتجوَّل هنا بحقِّ السماء ؟

ثم تحرَّك فى حدَّة نحو مقبض باب حجرته ، ولم يكد يمسه حتى توقفت الخطوات بغتة فى الممشى الخارجى ، مما أعاد إلى الدكتور (فؤاد) كل توتُّره ، وقلقه و .. خوفه ..

وبعد فترة من الصمت سمع صوت الخطوات يعود مرة أخرى ، ولكنه لم يكن يقترب منه هذه المرة ، بل كان يتسلَّل إلى واحدة من حجرات المرضى التى يمتلئ بها الممشى ..

شىء واحد يحطِّم كل عوامل الخوف فى نفس الدكتور (فؤاد عيسى) .. إنه قلقه على مرضاه ، فلم يكد يسمع صوت الخطوات وهى تتسلَّل داخل أحد الحجرات ،

حتى أدار مقبض الباب ، واندفع إلى الممشى الخارجى ، ودارت عيناه يمنةً ويسرة ، قبل أن تتوقَّف عند باب مفتوح لأحد حجرات المستشفى ، فتحرَّك نحوه فى خطوات غاضبة سريعة ، وقد تلاشى خوفه ، وحل محله حنق بالغ ، على ذلك الفضولىّ الذى يزور المرضى فى أوقات الراحة .

كانت خطواته قوية ، غاضبة ، ثائرة ، حتى انبعثت تلك الصرخة الرهيبة .

كانت صرخة تموج بالرُّعب والفزع ، مع مزيج من التوتُّر والتوسُّل ، صرخة لم يسمع الدكتور (فؤاد) مثلها فى حياته ، انطلقت من الحجرة المفتوحة ، حيث اختفت الخطوات الغامضة ، ومع نهاية الصرخة ارتفع صوت المريض صاحب تلك الحجرة يهتف :

ــ كلَّا .. كلَّا .. إننى لن أخبر أحدًا .. لن أخبر أحدًا .

اندفع الدكتور (فؤاد) إلى حجرة مريضه مع تصاعد همهمات القلق من حجرات المرضى الآخرين ، الذين أيقظتهم تلك الصرخة المرعبة .. ولم يكد الدكتور (فؤاد) يصل إلى باب حجرة المريض ، حتى توقف فجأة ..

كان هناك رجل يرفل فى عباءة زرقاء ، ينحنى فوق المريض الذى اختفت صرخاته تمامًا ، وكان ظهره تجاه الدكتور (فؤاد) ، الذى هتف فى صوت متحشرج من شدة الانفعال :

ــ من أنت ؟ .. وماذا تفعل هنا ؟

استدار إليه صاحب العباءة الزرقاء فى بطء ، ولم يكد بصر الدكتور (فؤاد) يقع على وجه الزائر الفضولىّ ، حتى ارتجف جسده ، فى انتفاضة قوية ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، فقد كان وجه الزائر أزرق تمامًا ، وعيناه حمراوين بلون الدم ، وكانت ملامحه

البغيضة تحمل غضبًا لا نهاية له ، غضبًا حبس الكلمات فى حلق الطبيب ..

وبنفس الخطوات البطيئة المخيفة اقترب الزائر الأزرق من الطبيب ، وحاول الدكتور (فؤاد) أن يعدُو خارجًا ، ولكن ساقيه تسمَّرتا ، وعجز عن رفع عينيه عن تلك العينين الحمراوين ، واتسعت عيناه رعبًا حينما مدَّ الزائر الأزرق أصابعه المعروقة نحو عنقه ، وأراد أن يصرخ رعبًا وفزعًا ، ولكنه وجد السماء تظلم من حوله ، وانهارت ساقاه و .. فقد الوعى .

★ ★ ★





استدار إليه صاحب العباءة الزرقاء فى بطء ، ولم يكد بصر الدكتور (فؤاد) يقع على وجه الزائر الفضولىّ حتى ارتجف جسده ..

٢ ـ جريمة الموسم ..

توقَّفت سيارة الرائد (نور الدين) أمام مستشفى (مرسى مطروح) ، وقفز هو منها فى رشاقة كعادته ، ثم تحرَّك فى خطوات واسعة سريعة نحو المستشفى ، وتجاوز سيارات الشرطة العديدة التى تملأ ساحته ، وقفز درجات السُّلَّم إلى الطابق الثانى ، حيث استقبله ضابط شرطة برتبة نقيب ، رفع حاجبيه فى دهشة وهو يهتف :

ـ الرائد (نور الدين) .. هل ستتولَّى المخابرات العلمية هذه العملية ؟

أجابه (نور) وهو يلوِّح بذراعيه فى ضيق :

ـ إننى هنا دون تكليف رسمى أيها الضابط ، إن الدكتور (فؤاد) صديق شخصى لى .

مطَّ الضابط شفتيه فى أسف ، وقال :

ـ يؤسفنى ذلك يا سيادة الرائد ، فهو متورِّط حتى النخاع .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ وكيف توصَّلت إلى اتهامه على هذا النحو الواثق أيها الضابط ؟

هزَّ الضابط كتفيه ، وهو يقول :

ـ إنه الرجل الوحيد الذى يستطيع التحرُّك على قدميه داخل المبنى يا سيادة الرائد ، وحراس الأمن يؤكدون أن أحدًا لم يدخل إلى المستشفى طيلة ليل أمس ، والانتقال إلى حجرة القتيل يحتاج إلى قدمين .. أليس كذلك ؟

بدا وجه (نور) جامدًا ، وهو يغمغم :

ـ ليس دائمًا .

نظر إليه الضابط فى دهشة ، ثم قال فى حماس :

ـ لقد أسرع حراس المبنى إلى الداخل ، بعد خمس دقائق من سماعهم صرخة القتيل ، وأنت تعلم أن هذا

المستشفى ليس له سوى مخرج واحد ، وفى الداخل لم يكن هناك سوى الدكتور (فؤاد) ، متظاهرًا بفقدان الوعى أمام القتيل ، وحينما أفاق ، أو تظاهر باستعادة وعيه ، قصّ عليهم قصة عجيبة عن رجل أزرق اللون ، قصة لا يمكن أن يصدِّقها أحد ، وبرغم غرابتها فتش حراس الأمن المبنى بأكمله ، فلم يجدوا رجلًا واحدًا يمكنه الحركة ، سواء كان أزرق اللون أو أحمره .

صمت (نور) لحظات ، وقد ازداد انعقاد حاجبيه ، دلالة على التفكير العميق ، ثم سأل الضابط فى هدوء :

ــ كيف لقى القتيل مصرعه أيها الضابط ؟

أجابه الضابط :

ــ خنقًا أيها الرائد ، لقد لفَّ أحدهم حبلًا أزرق اللون حول رقبته ، واعتصرها حتى الموت .

غمغم (نور) ، وكأنه يحادث نفسه :

ــ أزرق اللون ؟

اندفع الضابط ، وكأنما يدافع عن وجهة نظره ، قائلًا :

ــ هذا جزء من الخُطَّة يا سيادة الرائد ، قصة خيالية محبوكة و ....

أوقفه (نور) بإشارة من يده ، وقال :

ــ دعنا نؤجل مناقشة نظريتك حتى أقابل الدكتور (فؤاد) أيها الضابط ، هذا إذا لم يكن لديك ما يمنع ذلك .

* * *

ارتجف جسد الدكتور (فؤاد) وهو يختتم حديثه مع (نور) ، وأردف فى صوت مفعم برعب لم يزايله بعد :

ــ لن يمكنك تصوُّر بشاعة هذا الوجه الأزرق يا (نور) ، إنه لن يفارق مخيِّلتى ما بقى لى من عمر .. إنك تصدِّقنى .. أليس كذلك ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إننى أصدِّق كل كلمة نطقت بها يا دكتور (فؤاد) ، فبرغم غرابة قصتك ، إلا أننى واجهت ما هو أكثر غرابةً فى عمليات سابقة ، ولكن هناك عدة نقاط تحتاج إلى تفسير .

سأله الدكتور (فؤاد) فى لهفة ، وكأنه يتشبَّث بالأمل الذى منحته إيَّاه كلمات (نور) :

ــ سل ما بدا لك يا (نور) ، سأجيبك بقدر ما أستطيع .

ظل (نور) صامتًا يفكِّر بضع لحظات ، ثم سأله :

ــ يقول حراس الأمن إنَّ أحدًا لم يدخل المبنى ، أو يغادره خلال الحادث ، وإنهم لم يعثروا على أدنى أثر لذلك القاتل الأزرق ، فكيف تتصوَّر أنه وصل إلى هنا ؟

هزَّ الدكتور (فؤاد) رأسه فى حَيْرة ، وقال :

ــ من يدرى ؟ .. ليتنى أمتلك إجابة عن هذا السؤال يا (نور) .

عاد (نور) إلى صمته وهلة ، قبل أن يعاود سؤاله :

ــ كيف فقدت الوعى ؟

أجابه الدكتور (فؤاد) :

ــ لست أدرى يا (نور) ، لقد كنت أحدِّق برعب فى تلك العينين الحمراوين ، حينما مدَّ ذلك الرجل

البشع يده الزرقاء إلى عنقى ، وقبل أن يمسَّها فقدت الوعى .

ظهر الاهتمام على وجه (نور) ، وهو يسأله :

ــ هل أنت واثق أنه لم يمس عنقك ؟

هزَّ رأسه إيجابًا فى قوة ، فظهرت دلائل التفكير العميق على وجه (نور) ، وغمغم :

ــ لا بدَّ من دليل واحد ، يؤيد هذا يا دكتور (فؤاد) .

ظهر اليأس على وجه الدكتور (فؤاد) ، ولوَّح بكفِّه قائلًا :

ــ يبدو أنه ليس هناك من أمل ، إن كل الحلقات تضيق من حولى .

صاح (نور) :

ــ لا تفقد الأمل بهذه السرعة يا صديقى ، إننى أومن ببراءتك ، ولن أعدم وسيلة لإثباتها .

رفع إليه الدكتور (فؤاد) عينين يلوح فيهما الامتنان والشكر ، وقال :

ـــ إننى أعلم عبقريتك فى حل غوامض الأمور يا (نور) ، سأسلمك عنقى واثقًا .

فتح (نور) فمه ليشكره على ثقته ، حينما دقّ الباب عدة دقات متعجّلة ، فاستدار (نور) يفتحه ، وهو يتصوَّر أن الضابط هو صاحب هذه الطرقات ، ولكنه لم يكد يفتح الباب حتى اكتسى وجهه بالضيق ، وعلى الجانب الآخر من الباب ، رفعت (مشيرة محفوظ) الصحفية الشهيرة بجريدة (أنباء الڤيديو) حاجبيها فى دهشة ، ثم لم تلبث أن هتفت فى لهجة خبيثة ، وهى تندفع إلى داخل الحجرة :

ـــ يا إلهى !! لقد كنت أظننى بصدد جريمة قتل عاديَّة .

ثم تأمَّلت (نور) ، وهى تردف فى سخرية :

ـــ ولكن وجود الرائد (نور الدين) ، يؤكد أننى سأنقل للمشاهدين قضية الموسم .

★ ★ ★

٣ ـــ عالم أزرق اللون ..

أطلقت (مشيرة محفوظ) ضحكة ساخرة طويلة ، وتأمَّلتْ وجه (نور) بمزيج من الشماتة والخبث ، وهى تقول :

ـــ إننى لا أصدِّق كلمة واحدة مما نطق به بالطبع ، إن قصته تصلح لفيلم سينمائى ، يبرع فيه مخرجو أفلام الرُّعب المجسَّمة ، ولكنها لا تصلح دفاعًا جيِّدًا عما اقترفه .

أجابها (نور) فى برود :

ـــ إنه لم يُدَن بعد يا (مشيرة)

ضحكت مرة ثانية ، وهى تقول :

ـــ ولكنه سيُدَانُ ولا شكَّ .. إن كل الأدلة تؤكد ....

قاطعها (نور) فى حدَّة :

— أيَّة أدلة ؟!!

حدَّقت فى وجهه بدهشة ، على حين أردف هو محتدًّا :

— إن كل ما تسمونه أدلة إتهام ، أراه أنا عوامل نفى خطيرة ، فلا توجد علاقة واحدة بين الدكتور (فؤاد) ، وذلك القتيل الذى يعمل فى التنقيب عن الآثار ، وحتى لو افترضنا أن الدكتور (فؤاد) — لسبب مجهول — قرَّر قتله ، فإنه لم يكن يحتاج إلى كل هذا اللف والدوران ليفعل ذلك ، كان يكفيه أن يعالجه بدواء مميت ، أو يضاعف جرعة أحد الأدوية إلى حد الموت .

ظهر الغضب على وجه (مشيرة) ، وهى تقول فى حدَّة مماثلة :

— إذن فأنت تصدِّق تلك الرواية ، المليئة باللون الأزرق ، التى يقصّها على الجميع .

قال (نور) :

— إن العباءة الزرقاء والحبل الأزرق ، أشياء يمكن شراؤها من أى متجر فى مصر ، أما عن لون الجلد الأزرق ، والعينين الحمراوين ، فهذا عمل تافه بالنسبة لأى رجل يجيد أقل القليل من فن المكياج .

أطلقت (مشيرة) ضحكة ساخرة ثانية ، وهتفت وهى تلوِّح بذراعيها فى شكل مسرحى :

— إذن فكل الأمور يسهل افتعالها حينما يريد الرائد (نور) ذلك ، والقاتل مظلوم ما دام صديقًا له ، دون أن يلتزم بتقديم دليل واحد يؤيد قوله .. يا لك من مغرور !!

كتم (نور) غيظه وضيقه فى صعوبة ، وقال :

— سأبحث عن الدليل يا (مشيرة) ، وثقى أننى لن أعجز عن إيجاده .

ابتسمت فى سخرية ، وقالت :

— هل ستجد أيضًا تفسيرًا لدخول وخروج هذا الوحش الأزرق ، المتنكِّر فى صورة إنسان ؟ هل ارتدى

طاقية الإخفاء وهو يعبر مقر حرَّاس الأمن دخولًا وخروجًا ، أو أنه هبط من السماء ؟

تألَّقت عينا (نور) فجأة ، وبوغتت به يمسك كتفيها ، صائحًا فى فرح :

ـــ لقد نطقت بها .. إنها الوسيلة الوحيدة المقبولة ، والمعقولة .. نعم .. لقد هبط من السماء .

* * *

حدَّق ضابط الشرطة فى وجه (نور) بدهشة ، ثم هزَّ رأسه كأنه لا يصدِّق حرفًا واحدًا مما يقوله (نور) ، ولكنه حرصًا على فارق الرتب بينهما ، قال فى احترام :

ـــ إن قتل رجل لا يحتاج إلى كل هذا يا سيادة الرائد .

أجابه (نور) :

ـــ هذا يتوقَّف على أهمية الرجل أيها النقيب .

صمت النقيب لحظة ، ثم قال :

ـــ ولكن هذا يعنى أن رجال الأمن صُمّ ، فكل

الحوَّامات والطوَّافات التى يمكنها الهبوط فوق سطح المستشفى ، لها صوت واضح مسموع .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وقال :

ـــ حتى ولو كان لها صوت كالهدير ، فلن ينتبه إليها أحد من رجالك ، فهم ليسوا مقاتلين فى جيش ، يخوض حربًا ضروسًا ، إن مهمتهم تقتصر على منع دخول من لا يحمل تصريحًا إلى المستشفى ، ولكنهم لن يراقبوا الطائرات .

ظهر الشك على وجه النقيب ، فأردف (نور) :

ـــ هل ستتوقَّع أن تهبط طوَّافة فوق منزلك ، لو أنك سمعت هدير مراوحها فوقك ؟

ظل الشك مرتسمًا فى ملامح النقيب بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـــ إننى لن أتوقَّع ذلك بالطبع ، ولكن ....

قاطعه (نور) قائلًا :

ــ ولكن الشيء الوحيد الذى يحسم مثل هذا الاستنتاج ، هو فحص سطح المبنى .

تردَّد النقيب لحظة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وقال :

ــ ولِمَ لا ؟ إننا لن نخسر شيئًا

* * *

وقف الرائد (نور) ، ونقيب الشرطة يفحصان السطح الواسع بعيونهما ، ثم قال النقيب وهو يشير بكفِّه إشارة مبهمة :

ــ هل سنفحص كل هذا المكان ؟

ثم أردف وهو يهزُّ رأسه حَيْرة :

ــ سيستغرق هذا منا ثلاثة أيام على الأقل .

ضحك (نور) وهو يقول :

ــ اطمئن أيها النقيب ، إننا لن نفحصه كله ، سنكتفى بقدر ضئيل منه .

نظر إليه النقيب فى دهشة ، فتابع قائلًا :

ــ لو أنك أردت الهبوط بطوَّافة على سطح المستشفى ، فإنك ستتخيَّر مكانًا وسطًا ، يجعلك غير ملحوظ من حراس الأمن ، كما أنك ستتخيَّر مكانًا متسعًا لا تعوقه أسلاك المراقبة أو الهوائيات .. إنك باختصار لن تجد أفضل من هذا المكان هناك .

وأعقب عبارته بأن تحرَّك نحو النقطة التى أشار إليها ، وتبعه النقيب فى صمت ، وراقبه وهو يتفحَّص المنطقة فى اهتمام بالغ ، ثم رآه ينحنى ليفحص أرض السطح فى تركيز شديد ، فاقترب منه يسأله :

ــ هل وجدت شيئًا يا سيادة الرائد ؟

أشار (نور) إلى بقعة داكنة تلوِّث السطح ، وقال :

ــ هذا نوع من مخلفات الوقود الأمينى أيها النقيب ، وهى لم تلتصق بالسطح بعد ، وهذا يعنى أنه لم يمض عليها هنا أكثر من ثمان وأربعين ساعة ، ما دام السطح لا يستخدم عادة لهبوط الحوَّامات ، فهذا يعنى ....

قاطعه النقيب ، وهو يكمِّل العبارة فى دهشة :

ـــ أن القاتل الأزرق قد هبط على السطح .

ثم هزَّ رأسه فى قوة ، وكأنــــه يرفض الاعتــــراف بالفشل ، وقال :

ـــ إنه مجرَّد افتراض بالطبع .

وقف (نور) يتأمَّل بقعة الوقود المتخلِّف ، ثم ابتسم ابتسامة تفيض عزمًا ، وحماسًا وهو يقول فى بطء ، يحمل رنَّة النصر :

ـــ لقد أحسنت التنبؤ منذ البداية أيها النقيب ، يبدو أن المخابرات العلمية ستتولَّى رسميًّا هذه العملية ، وأن القضية ستبدأ الآن .

* * *

٢٤ ـــ مهمة الفريق ..

أوقف (رمزى) جهاز الكمبيوتر الصغير أمامه عن العمل ، ثم التفت إلى (نور) ، وقال :

ـــ أنت محقّ أيها القائد .. بهذا التاريخ النفسى ، من المستحيل أن يقدم رجل مثل الدكتور (فؤاد) على القتل .

تنهَّد (نور) فى ارتياح ، وقال :

ـــ كنت مُوقِنًا من ذلك يا عزيزى (رمزى) ، ولكننى أردت استشارة خبير فى الطب النَفسى .

قال (محمود) ، وهو يعدل وضع منظاره الطِّبّىّ :

ـــ هذا يعنى أن قصة الدكتور (فؤاد) صادقة يا (نور) .

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـــ إننى لم أشك فى هذا لحظة يا (محمود) .

قالت (سلوى) :

ـ ما سر ذلك القاتل الأزرق اللون إذن ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ستأتى الإجابة عن هذا السؤال فى نهاية قائمة من الأسئلة يا (سلوى) ، فقد بذلت مجهودًا رهيبًا ، لإقناع القائد الأعلى أن تحتضن المخابرات العلمية هذه العملية ، وبذل هو بدوره جهدًا مماثلًا لإقناع رئيس الوزراء ، فجرائم القتل عادة لا تدخل فى نطاق عمل المخابرات العلمية .

هزّت (سلوى) رأسها علامة الفهم ، وقالت :

ـ وما السؤال الأول فى قائمتك يا (نور) ؟

رفع (نور) ذقنه قليلًا ، وبدا لحظات وكأنه استغرق فى التفكير تمامًا ، ثم قال :

ـ حينما صرخ القتيل قبيل مصرعه ، كان يهتف أنه لن يخبر أحدًا ، هذه هى العبارة الوحيدة التى سمعها الدكتور (فؤاد) ، وهى تعنى أن القتيل وهو عالم آثار

قديم ، يُدْعَى (وليد عبد الحكيم) ، كان يعرف جيِّدًا من هو قاتله ذو الوجه الأزرق ، بل إن لونه لم يثر انتباهه ، وإنما فهم على الفور أنه ينوى قتله ، من أجل شىء ما يعلمه ، فى حين أن مصلحة ذلك القاتل الأزرق تقضى أن يظل ذلك الشىء مجهولًا للجميع .. وهكذا نجد أن السؤال الأول الذى يفرض نفسه هو لماذا ؟.. لماذا قُتِلَ عالم الآثار ؟.. وإجابة هذا السؤال تحتاج إلى بحث طويل فى حياة الرجل العائلية والمهنية ، وهذا ما سنبدأ به بحثنا ، فسأتوجَّه أنا و (سلوى) للحديث مع زوجته وابنته ، على حين تتجه أنت يا (رمزى) ، بصحبة (محمود) إلى هيئة الآثار ، حيث كان يعمل ، وتذكَّروا أن مهمتنا تقتضى جمع أكبر قدر من المعلومات عن (وليد عبد الحكيم) ، فهذه المعلومات ستكون الخيط الوحيد الذى يقودنا إلى حل لغز (الموت الأزرق) .

* * *

وقفت زوجة عالم الآثار القتيل تتأمَّل (نور)

و (سلوى) بعينين حزينتين ، ثم مسحت دمعة ترقرقت من عينها ، وقالت :

ـــ وماذا تفيد التحريّات أيها الرائد ؟.. لقد خسرناه إلى الأبد .

أجابها (نور) فى لهجة هادئة ، قوية :

ـــ لن نترك قاتله يمرح حرًّا طليقًا يا سيِّدتى .

صاحت ابنة العالم :

ـــ نعم أيها الرائد .. لن يبقى قاتل والدى حرًّا .

جفَّفت زوجة العالم دموعها ، وقالت :

ـــ سَمِعت فى جريدة أنباء الفيديو ، أنهم قد ألقوا القبض على القاتل بالفعل .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لقد ثبتت براءته يا سيِّدتى ، ونحن نبحث عن القاتل الحقيقى .

فتحت فمها تهم بالحديث ، إلَّا أن (نور) بادرها بسؤال مباشر :

ـــ هل بدا زوجك (رحمه الله) مضطربًا فى الآونة الأخيرة يا سيِّدتى ؟

هزَّت الزوجة كتفيها ، وقالت :

ـــ لست أدرى .. ربَّما .

قاطعتها ابنتها قائلة :

ـــ نعم أيها الرائد ، لقد بدا والدى مضطربًا قلقًا ، منذ عودته من رحلته الأخيرة ، ولقد تسبَّب شروده وقلقه فى ذلك الحادث الذى هشَّم عظام ساقه اليسرى ، وأرسل به إلى مستشفى (مرسى مطروح) حيث لقى مصرعه .

استدارت إليها (سلوى) بكل فضولها واهتمامها ، وسألتها :

ـــ وأين كانت رحلته الأخيرة هذه ؟

أجابتها الفتاة :

ـــ على مشارف جبال الصعيد ، بالقرب من قرية صغيرة من قرى محافظة (قنا) ، تسمى (أولاد

عمرو) .. لقد ذهب ينقِّب عن قبر الحكيم الفرعونى الشهير (أمحتب) ، ولكنه عاد قبل أن يتم الحفر ، عاد مضطربًا قلقًا ، وأكاد أجزم أنه لم يذق طعم النوم منذ ذلك الحين ، فقد كان يقضى وقته كله فى فحص ، ودراسة كل مالديه من مراجع عن الحياة المصرية القديمة ، حتى سقط من فوق السُّلَّم وهو يتناول مخطوطًا أثريًّا من أعلى رفوف مكتبته ، وتهشَّمت ساقه .

قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال :

ـــ السقوط من أعلى سُلَّم قد يكسر الساق ، ولكنه لا يهشِّمها يا فتاتى .

مطَّت الفتاة شفتيها ، وقالت :

ـــ لست أدرى شيئًا عن النواحى الطبية ، ولكن هذا ما حدث .

سأل (نور) :

ـــ ألم يخبركما عمَّا كان يبحث ؟

هزَّت الزوجة والابنة رأسيهما نفيًا ، وقالت الزوجة :

ـــ إنه (رحمه الله) لم يعتَد التحدُّث إلينا عن شئون عمله .

ظهر التفكير العميق على وجه الابنة ، وهى تقول :

ـــ صحيح أنه لم يخبرنا عما يبحث ، ولكننى دخلت إليه مرة فى حجرة مكتبه ، وكان منهمكًا فى قراءة موضوع عجيب ، أثار انتباهى جدًّا .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـــ أى موضوع هذا ؟

ابتسمت ابتسامة خجلى ، وكأنها تخشى سخريتهما ، وقالت :

ـــ أعتقد أنه موضوع يتعلَّق بإناس ذوى بشرة زرقاء ، أهل أطلانتس القدامى .

* * *

٥ ــ المعبد الملعون ..

هزَّ مدير هيئة الآثار رأسه أسفًا ، وهو ينظر إلى (رمزى) و (محمود) فى رثاء :

ــ لقد خسرت الهيئة ذلك العالم تمامًا أيها السيِّدان .. لقد كان (رحمه الله) من أكثر علماء الآثار إخلاصًا لعمله ، وكاد يحصل على جائزة (حورس) لولا رحلته الأخيرة .

سأله (رمزى) :

ــ ماذا فعلته رحلته الأخيرة يا سيِّدى ؟

عاد مدير هيئة الآثار يهزّ رأسه اسفًا ، ثم قال :

ــ لقد ظل يبحث سنوات عن مقبرة الحكيم المصرى القديم (أمحتب) ، صاحب تصميم بناء الهرم الأكبر ، وصاحب أكبر قدر من العلوم والخبرات ، الطبية والهندسية والعلمية والفلكية فى مصر القديمة ، وأخيرًا

أعلن أنه قد توصَّل إلى كشف مكانه ، وخرج على رأس بعثة إلى منطقة جبلية بالقرب من قرية (أولاد عمرو) فى محافظة (قنا) ، وقد بدأ الحفر بالفعل ، ويدَّعى بعض العمال الذين صاحبوه أنه قد عثر على مدخل معبد أثرى بالفعل ، وأنه قد هبط إليه وحده ، ثم عاد عَدْوًا ، والخوف مرتسم على ملامحه ، المهم أنه أمر بإغلاق المعبد ، وردمه مرة ثانية بالرمال ، ثم عاد إلى هنا ، ورفض الإفصاح عن موقع المعبد ، وقدم استقالته من هيئة الآثار ، وحينما حاولت إثناءه كنت كمن يتحدَّث إلى حجر أصمّ ، ولكننى رفضت استقالته رفضًا تامًّا ، فغادرنى غاضبًا ، ولم أره منذ ذلك الحين .

سأله (محمود) :

ــ ومتى كان ذلك بالضبط يا سيِّدى ؟

رفع مدير الهيئة رأسه مفكرًا ، ثم قال :

ــ لقد كان ذلك فى الخامس من أكتوبر ، أى منذ شهر كامل بالضبط .

سأله (رمزى) فى اهتمام كبير :

ــ ألم يشر إلى شىء ما وجده فى ذلك المعبد ؟.. شىء ما أو .. أو شخص ما ؟

نظر إليه مدير الآثار فى دهشة ، ثم ضحك وهو يقول :

ــ شخص ما فى معبد مغلق منذ آلاف السنين ، لاريب أنك تمزح يا دكتور (رمزى) .

ثم عقد حاجبيه ، مستطردًا فى جدٍّ ووقار :

ــ ولكننى لست أشك فى أنه وجد شيئًا مخيفًا أو مريبًا هناك ، فقد رفض تمامًا الإفصاح عن موقع ذلك المعبد ، أو وصف ماوجده بداخله ، كل ماقاله حينما ألحفت عليه هو أنه معبد ملعون ،.. معبد أزرق ملعون .

* * *

اجتمع أفراد الفريق فى منزل (نور) ، وقصَّ كل منهم مالديه على الآخرين ، ثم ساد صمت قلق بعض الوقت ، قبل أن تقطعه (سلوى) بقولها :

ــ عجبًا .. إن كل ما يحيط بهذا اللغز أزرق اللون .

غمغم (نور) وهو يفكِّر :

ــ هذا يؤكد أننا نسير فى الطريق الصحيح يا (سلوى) .

هزَّ (محمود) رأسه فى حَيْرة ، وقال :

ــ لست أفهم سرّ هذا اللون الأزرق حقًّا يا رفاق .

قال (نور) فى اهتمام :

ــ إنه واحد من الألوان الباردة فى عالم الفن يا صديقى ، ولكنه ارتبط فى عقول الناس بالسحر والغموض والرعب ، فأنت تجد أن الأساطير القديمة تتحدَّث عن آلهة زرقاء ، ورجال زرق البشرة يحكمون (أطلانتس) ، القارة الغارقة المفقودة ، تجد أن الملوك والنبلاء فى أوربا يوصفون بأنهم من ذوى الدم الأزرق ، وتجد إمرأة موهوبة فى قبائل العرب تدعى (زرقاء اليمامة) ، كان باستطاعتها رؤية جيوش تهاجم على بعد آلاف الأميال فى الصحراء ، أو هى كانت تتنبَّأ بذلك

لا أحد يدرى ، حتى مخرجوا أفلام الرُّعب يلجئون إلى جعل بشرة الوحوش والشياطين زرقاء ، وكأن شيئًا ما فى أعناقهم يدفعهم إلى ذلك ، إن الرُّعب الأزرق ، يا صديقى قديم قدم الأزل(*) .

غمغمت (سلوى) ، وقد بدأت تشعر بخوف مُبهم :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا يثير اللون الأزرق كل هذا الفزع على مرِّ العصور ؟

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـ من يدرى يا عزيزتى ؟.. إن اللون الأزرق فى رأيى هو لون كل جميل ، فهو لون السماء والبحر ، ولكن شيئًا ما أزرق اللون أثار الرعب منذ عشرات القرون ، وظلت ذكرى هذا الرُّعب تنتقل عَبْر الأجيال ، وكما يقول المثل : « لا يوجد دخان بلا نار » .

(*) كل المعلومات الواردة فى هذا الجزء صحيحة تمامًا ، ومدوَّنة فى كل المراجع التاريخية .

ابتسم (رمزى) وهو يقول :

ـ ولكن العلم الحديث يؤكد أن بعض المواد الكيميائية يمكنها أن تنتج الأدخنة بلا نيران أيها القائد .

صمت (نور) لحظة متأمِّلًا العبارة ، ثم غمغم :

ـ من يدرى يا (رمزى) ؟.. ربما .

ثم رفع سبَّابته أمام وجهه ، وقال :

ـ شىء واحد يمكنه حسم مثل هذا الأمر .

نظر إليه الجميع فى تساؤل ، فأردف وهو يضرب سبَّابته بإبهامه فى قوة :

ـ أن نسافر إلى قرية (أولاد عمرو) . ونعيد البحث عن المعبد الملعون .

صاحت (سلوى) فى دهشة :

ـ هل سنتحوَّل إلى علماء آثار ؟

أجابها فى جدِّيَّة :

ـ نعم ياعزيزتى ، سننبش الأرض بحثًا عن حل هذا اللغز ، سننبشها فعلًا ، إلى أن ننجح أو نرى بأعيننا ذلك (الموت الأزرق) .

* * *



٦ ـ أرض الخطر الأزرق ..

تأمَّل رئيس هيئة الآثار بمحافظة (قنا) وجوه أفراد الفريق ، ثم توجَّه بحديثه إلى (نور) قائلًا :

ـ أنت تطلب مطلبًا عسيرًا أيها الرائد ، فلقد تولَّى الدكتور (وليد) عملية البحث بأكملها ، واختار معاونيه بنفسه ، وهم عادةً من خارج الهيئة ، مجرَّد عمال حفر وتنقيب ، ولن يمكننى العثور عليهم بسهولة .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ يكفينى العثور على واحد منهم فقط يا سيِّدى .

قال رئيس الهيئة ، فى لهجة أقرب إلى الحدَّة :

ـ وماذا تريدنى أن أفعل ؟.. أأنشر إعلانًا بالصحف والمجلات ؟!!

قالت (سلوى) فى ضيق :

ــ لا تعقّد الأمو يا سيّدى ، إننا نبحث عن قاتل الدكتور (وليد) ، وهذا لن يتأتّى إلّا بالعثور على المنطقة التى عثر فيها على المعبد الملعون .

شحب وجه رئيس الهيئة ، وقال:

ــ معبد ملعون ؟!.. أى معبد هذا ؟

أجابه (نور) :

ــ زوجتى تقصد مقبرة (أمحتب) يا سيّدى .

ظهر الاعتراض على وجه رئيس الهيئة ، ولكنه قبل أن ينطق بكلمة واحدة ، اندفع مساعده الشاب يقول :

ــ أنا أعرف واحدًا من هؤلاء العمال أيها السادة .

التقت العيون عند وجه المساعد الشاب ، الذى أردف فى ارتباك :

ــ لو أنكم تصرُّون على الذهاب إلى هناك ، فأنا واثق من قدرتى على إقناعه بمرافقتكم ، ولكنه لن يبقى معكم إذا ماحل المساء .. فمنذ حادث ردم المعبد

انتشرت شائعة تقول : إن هذا المكان ملعون .. ملعون إلى الأبد .

* * *

اعترف أفراد الفريق فى قرارة أنفسهم بالرهبة التى يبعثها المكان ، إذ كان منطقة فسيحة منبسطة ، لا تحوى سوى بضعَة أحجار متناثرة هنا وهناك ، تحيط به الجبال المرتفعة إحاطة السوار بالمعصم ، إلا من ممرّات صغيرة تقود إلى الوادى الواسع ، وأشار الدليل إلى منطقة اختفت من حولها وفوقها الأحجار الصغيرة ، وقال فى صوت لم تختف منه رنّة الخوف :

ــ هذا هو الوادى الملعون ، وتلك المنطقة الخالية من الأحجار فوق المعبد تمامًا .

سأله (رمزى) :

ــ كم قدمًا حفرتم للوصول إليه ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، وقال :

ـــ لست أدرى يا سيِّدى ، ولكن الحفراستغرق يومًا واحدًا للوصول إلى بوابة المعبد .

تلفتَّت (سلوى) حولها فى قلق ، وقالت :

ـــ هذا يعنى أنه قريب للغاية .

قال (محمود) فى اهتمام :

ـــ يمكننا العثور عليه باستخدام الترددُّات المرتدة(*) .

عقب (نور) على قوله قائلًا :

ـــ هذا ما سنفعله على الفور يا رفاق ، أعدَّوا أجهزتكم .

ظهر مزيج من الرُّعب والدهشة على وجه الدليل ، وهتف فى فزع :

ـــ ولكن الشمس على وشك المغيب .

(*) أسلوب يستخدم للكشف عن المواد الصلبة فى باطن الأرض ، حيث ترسل موجة صوتية عالية الترددُّ ، ثم تستقبل الموجات المنعكسة ، فترتسم صورة للمواد الصلبة التى ارتطمت بها الموجة الأولى .

استدار إليه (نور) ، وقال فى غضب :

ـــ ماذا أصابك يا رجل ؟!.. إننا الآن فى القرن الحادى والعشرين ، ولقد حطَّم التطوُّر التكنولوجى كل هذه الخرافات .. أما زلت تخشى الظلام ؟!

تلفَّت الرجل حوله فى فزع ، وكأنه يخشى أن تهاجمه الأشباح ، وصاح :

ـــ إنها ليست خرافات يا سيِّدى .. لقد شاهدهم عدد كبير من الناس .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـــ من هم هؤلاء الذين شاهدهم عدد كبير من الناس ؟

ارتجف جسد الدليل المسكين ، وهو يقول :

ـــ الأشباح يا سيِّدى ، الأشباح ذات الوجوه الزُّرق .

* * *

داعبت (سلوى) أزرار جهازها ، ثم التفتت إلى (نور) وسألته :

ـــ لماذا تركته ينصرف (يانور) ؟ كان من الأفضل أن يقص علينا أسطورة الأشباح الزُّرق هذه .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـــ كل ما سيفعله هذا هو أن يزيد من مخاوفنا يا عزيزتى ، ثم إننى لا أصدِّق حرفًا واحدًا مما يقال فى هذا الشأن .

تدخَّل (رمزى) قائلًا :

ـــ ليتنى لى ثقتك هذه أيها القائد ، إننى أشعر وكأن الأشباح تحيط بى من كل جانب .

أضاف (محمود) ، الذى انتهى من إعداد خيمتين للمبيت :

ـــ هذا ما يراودنى أنا الآخر .

أطلق (نور) ضحكة عالية ، وكأنه يحاول التغلُّب على قلقه ، وقال :

ـــ مهلًا يا رفاق ، لقد أتينا لتحطيم هذه الأسطورة ، لا للخوف منها .

وفجأة هتفت (سلوى) :

ـــ يا إلهى !! انظروا .

التفت الجميع إلى حيث تشير (سلوى) ، فوقعت أبصارهم على سيارة صاروخية تقترب من موقعهم بسرعتها القصوى ، وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة ، توقفت السيارة أمام مخيَّمهم الصغير ، وقفزت منها (مشيرة محفوظ) ، وهى تحمل آلة التصوير المجسَّم الصغيرة ، وتقول فى لهجة ساخرة متشفية :

ـــ مرحبًا أيها السادة ، هل يضايقكم أن أشارككم كشفكم هذا ؟

★ ★ ★

كان الظلام قد ساد تمامًا فى الوادى الملعون ، إلا من المصابيح التى أوقدها أفراد الفريق فى مخيَّمهم الصغير المكوَّن من خيمتين ، وعدد من الأجهزة الاليكترونية

الحديثة ، وداخل واحدة من الخيمتين جلس أفراد الفريق بصحبة (مشيرة) التى كانت تقول فى عناد :

ـــ كلَّا أيها الرائد ، لن أغادر هذا المكان إلا حين مغادرتكم له ، لقد أتيت بحثًا عن خبر الموسم ، ولن أتراجع عن هذا .

سألها (نور) فى هدوء :

ـــ وماذا لو أننا لم نتوصَّل إلى شىء ما ؟

ابتسمت فى سخرية وهى تقول :

ـــ حسنًا .. سأتحمل كل النتائج بشجاعة .. ثم إننى أوقن أنه مادام الرائد (نور) هنا ، فلا ريب أننا أمام لغز غامض .

ظهر الضيق على وجه (سلوى) ، على حين رفع (نور) حاجبيه دهشة ، وقال :

ـــ ربما أننا أمام نوع من الغموض العلمى ، ولكنه ليس لُغزًا على الإطلاق .

عقدت (مشيرة حاجبيها) فى غضب ، وسألته فى حِدَّة :

ـــ لِمَ أتيتم إلى هنا إذن ؟ للنزهة !؟.. إنكم تبحثون عن قاتل وهمىّ أزرق البشرة ، وصحيح أننى لا أثق فى وجود مثل هذا الشىء ، ولكننى أثق فى حصولى على قصة جيِّدة ما دمت أصاحبكم .

قال (محمود) فى ضيق :

ـــ ليتنا نكون فى مثل ثقتك بعدم وجود ذوى الوجوه الزُّرق هؤلاء .

أطلقت (مشيرة) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقالت :

ـــ إننى مستعدة للمراهنة على عدم وجودهم بوظيفتى أيها الشاب .

ثم حملت حقيبتها واندفعت خارج الخيمة ، مستطردة :

ـــ وإنى أتحدَّاهم أن يرونى وجوههم .

ولم تكد تتم عبارتها ، حتى توقَّفت الكلمات فى حلقها ، وارتجف جسدها ارتجافة قوية عنيفة ، وجحظت

عيناها رعبًا وذهولًا ، وسقطت حقيبتها وآلة التصوير من يدها .. فهناك على بعد خطوتين منها كان يقف رجل أزرق اللون ، أحمر العينين ، يحدِّق فى وجهها بغضب ومقت ، وهو يرفل فى عباءة بلون الليل .

وبكل ما تملك من قوة ، وبكل ما بقى لديها من وعى ، أطلقت (مشيرة محفوظ) صرخة رعب ارتجت لها الجبال فى وادى الموت الأزرق .

* * *



فهناك على بعد خطوتين منها كان يقف رجل أزرق اللون ، أحمر العينين ، يحدِّق فى وجهها بغضب ..

٧ ــ وبدأ الصراع ..

انتزعت صرخة (مشيرة) المدوِّية أفراد الفريق من مقاعدهم انتزاعًا ، واندفعوا إلى خارج الخيمة ، ولكنهم تسمَّروا جميعًا دفعة واحدة ، وتراجع (محمود) فى حِدَّة جعلته يتعثَّر ويسقط أرضًا ، وسقطت فكّ (رمزى) السفلى وجحظت عيناه ذعرًا ، وأطلقت (سلوى) شهقة خافتة وهى تتعلَّق بذراع (نور) ، الذى اتسعت عيناه دهشة وقلقًا ، وهو يتأمَّل الرجل الأزرق ، الواضح القوة ، الذى التفت يتأمَّلهم فى هدوء مخيف .. وكتمت (سلوى) صرخة رعب ، ماجت فى أعماق صدرها ، حينما استدار ذلك المسخ بجسده كله إليهم ، متجاهلًا (مشيرة) التى تراجعت فى رعب وهى تكتم فمها بكفَّيها ، وكأنها تخشى أن يعود إليها ذلك الوحش الأزرق ، إذا ما أفلتت من شفتيها كلمة واحدة ..

وفى خطوات بطيئة مخيفة ، تحرك الرجل الأزرق نحو (نور) ، وفريقه ، وتركزت عيناه الحمراوان بلون الدم على وجوههم ، وقرأ فيهما الجميع نداء الدم ، وصرخت (سلوى) :

ــ يا إلٰهى !! إنه يهاجمنا يا (نور) .

شعر (نور) أن العملية ستنهار بأكملها ، بسبب الخوف الذى انتاب الجميع لدى رؤيتهم هذا المسخ ، ذا الوجه الأزرق والعينين الدمويتين ، وفى غمرة حماسه ورغبته فى النصر ، اندفع (نور) نحو الرجل الأزرق ، وكال له لكمة أودعها كل ما يملك من قوة ، وبدأ الصراع .

* * *

هل جرَّب أحدكم أن يلكم حائطًا من الصلب بقبضته العارية ؟.. هذا تمامًا ما خُيِّل لـ(نور) أنه قد فعل ، فلقد هوى بكل ما يملك من قوة على فكِّ الرجل الأزرق بقبضته ، ولكنه شعر بقبضته تكاد تتهشَّم ،

دون أن يهتز صاحب الوجه الأزرق قيد أنمُلَة ، وكان لهذا تأثير مخالفٌ تمامًا لما كان ينتظره (نور) ، إذ أن هجومه هذا دفع مزيدًا من الرُّعب فى قلوب رفاقه ، وصحفية (أنباء الڤيديو) ، فأطلقت (سلوى) صرخة خوف وهى تهتف باسم زوجها ، وتراجعت (مشيرة) وهى تصرخ :

ـ كلَّا .. كلَّا .. هذا مستحيل .

وتردَّد (محمود) و (رمزى) لحظة ، ثم تبادلا النظرات ، واندفعا فى محاولة لمعاونة (نور) ضد خصمه ، وانقض الثلاثة ، (نور) و (رمزى) و (محمود) على الشبح الأزرق ، وشعر (نور) بقبضة فولاذية زرقاء ترفعه من سترته الجلدية ، وتلقى به على بعد ثلاثة أمتار ، وسقط (محمود) إثر ضربة فى صدره ألقت به عدة أمتار إلى الوراء ، وحاول (رمزى) أن يتفادى اليد الزرقاء المعروقة ، ولكن المسخ الأزرق جذبه من شعره ، وطوَّح به بعيدًا فى بساطة ، كما لو كان يقذف حجرًا صغيرًا ..

وتحرَّك الرجل الأزرق نحو (سلوى) ، التى تراجعت فى رعب هائل ، واحتبس صوتها من شدة الذُّعر ، ورأى (نور) زوجته فى هذه الحالة من الفزع ، فانطلق نحو الرجل الأزرق ، وقفز متعلِّقًا بعنقه من الخلف ، وكال له لكمة كالقنبلة فى مؤخرة عنقه ، ولكن الرجل لم يهتزّ ، أو يبدو عليه أى أثر للضربة القوية ، كل ما فعله هو أنه أدار ذراعه إلى الخلف ، وقبض على سترة (نور) ، ثم جذب هذا الأخير بقوة تكفى لرفع سيارة كاملة ، فانتزعه من خلفه وألقى به بعيدًا ، وسقط (نور) على ظهره وسط الحصى والحجارة الصغيرة ، وشعر بها تمزِّق سترته ولحمه ، ورأى الرجل الأزرق يواصل تقدُّمه نحو (سلوى) ، التى شحب وجهها حتى بدا وكأنه قد خلا تمامًا من الدماء ، وتسمَّرت قدماها فى مكانها ..

وفى محاولة أخيرة لإيقاف هذا الوحش المدمِّر ، أخرج (نور) مسدسه الليزرىّ ، وأطلق دفعة من أشعته القاتلة نحو الرجل .

ارتطمت دفعة الأشعة بمؤخرة عنق المسخ الأزرق ، ثم ارتدت عنها كما يحدث للضوء حينما يسقط على مرآة لامعة ، واستدار الرجل إلى (نور) ، وحدجه بنظرة نارية من عينيه الحمراوين بلون الدم ، نظرة تفيض غضبًا وقسوةً ، ثم تخلَّى عن متابعة (سلوى) ، وتحرَّك نحو (نور) بخطوات بطيئة مخيفة ، وعاد (نور) يصوِّب مسدسه إلى الرجل ، وبرغم كراهية (نور) الشديدة للقتل والدمار ، إلَّا أن شيئًا ما فى أعماقه كان يصرخ أن قتل هذا الشيطان الأزرق هو حياة رفاقه .. وبلا تردُّد أطلق (نور) الدفعة الثانية من مسدسه الليزرىّ بين عينى الوحش الأزرق ، وأطلقت (مشيرة) صرخة مكتومة حينما ارتدت هذه الدفعة أيضًا ، دون أن تؤثر فى المسخ ، الذى أصبح على بعد خطوات قليلة من (نور) ، وأطلق (نور) دفعته الإشعاعية الثالثة بين ذراعى المسخ ، وفى حركة غاضبة ، أطاحت الكفّ الزرقاء المعروقة بمسدس (نور) ، ثم أطاحت به ذراعا المسخ فى قوة .

شعر (نور) بكَّلابتين من الفولاذ تحيطان بجسده ، وتعتصرانه اعتصارًا ، وبرغم جسده المفتول ، وعضلاته القوية ، وبرغم مقاومته الشديدة ، واللكمات القوية التى انهال بها على وجه الرجل وعنقه ، شعر (نور) بالوعى يفارقه ، وأصبح يتنفس فى صعوبة ، وازداد إظلام الدنيا من حوله ، وسمع زوجته (سلوى) تصرخ فى لوعة وجزع ، قبل أن يفقد الوعى تمامًا .

* * *

لا أحد يدرى كم مرَّ من الوقت خلال تلك الغيبوبة التى سقط فيها (نور) ، ولكنه حينما بدأ يشعر بالخدر يفارقه ، وبجسده يغادر تلك الدوامة المظلمة اللانهائية ، عجز عن فتح عينيه بسبب الضوء القوى المسلَّط عليهما ، فرفع كفَّيه يحمى عينيه من الضوء ، وفتحهما فى صعوبة ، ثم لم يلبث أن شهق فى دهشة ، حينما وجد نفسه جالسًا فى سيارته الصاروخية التى يقودها (رمزى) ، واعتدل (نور) فى جلسته وهو يتأمَّل

طريق الصعيد فى دهشة ، وسمع (سلوى) تقول فى صوت حنون :

ــ هل استيقظت يا (نور) ؟

التفت إليها (نور) فى دهشة ، وتأمَّل ملامحها الهادئة الباسمة ، ثم هتف :

ــ يا إلٰهى !! كيف نجونا جميعًا ؟

تطلَّع إليه (محمود) و (رمزى) و (سلوى) فى دهشة ، وسأله (رمزى) :

ــ نجونا من ماذا أيها القائد ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله فى حِدَّة :

ــ هل أصابكم شىء ما ؟.. إننى أسألكم عن ذلك الرجل الأزرق الذى هاجمنا و ....

قاطعته (سلوى) ، وهى تسأله فى حنان يمتزج بالقلق :

ــ هل أنت متعب يا (نور) ؟.. هل أصابك كابوس ما ؟

صاح (نور) فى حِدَّة :

ــ بل ماذا أصابكم أنتم ؟ هل نسيتم ما واجهناه فى وادى الرعب ؟

أوقف (رمزى) السيارة على جانب الطريق ، والتفت نحو (نور) يتأمَّله فى قلق ، قائلًا :

ــ صدِّقنى يا (نور) ، أنت تثير قلقنا بالفعل .

صاح (نور) فى حِدَّة :

ــ أى قلق هذا ؟ ولماذا تعاملوننى هكذا وكأننى مجنون ؟

تبادل الثلاثة النظرات ، ثم قال (رمزى) وهو يُرَبِّت على كتفه فى حنان :

ــ عزيزى (نور) ، إننا لم نواجه رجالًا زرقًا أو غيره ، لأننا ببساطة لم نصل إلى وادى الرعب ، بل لم نذهب حتى إلى (قنا) !!

* * *

٨ ــ حلم ليلة زرقاء ..

اخترقت عبارة (رمزى) أُذن (نور) كالرصاصة ، وانتفض جسده فى شدة قبل أن يحدِّق فى وجوههم ، صائحًا :

ــ ماذا تعنون بأننا لم نصل إلى (قنا) بعد ؟.. لقد ذهبنا صباح أمس إلى هيئة الآثار هناك ، وقدَّمنا مساعد رئيس الهيئة إلى دليل ، قادنا إلى حيث وادى (أولاد عمرو) ، وهناك لحقت بنا (مشيرة محفوظ) و ....

قاطعه (رمزى) ، وهو يغمغم فى لهجة أقرب إلى الشفقة :

ــ ربَّاه !! هل أنت محموم يا (نور) ؟

صرخ (نور) فى غضب :

ــ كفى يا رفاق ، إنكم تتعاملون معى كما لو كنت مصابًا بالهلوسة ، إننى أمتلك الصفاء الذهنى الكافى

للتمييز بين الحقيقة والخيال ، وكل ما حدث كان حقيقيًّا .

ساد صمت ثقيل داخل السيارة ، وتبادل أفراد الفريق نظرات حيْرَى ، ثم أدار (رمزى) محرِّكات السيارة ، وهو يقول فى هدوء :

ــ حسنًا يا (نور) ، سيحسم رجال هيئة آثار (قنا) هذا الخلاف ، سنتوجَّه إلى هناك على الفور .

عقد (نور) حاجبيه ، وأطبق شفتيه وهو يراقب الطريق صامتًا ، وقد بدأ بصيص من الشك يتسرَّب إلى عقله ، ويسيطر على حواسه .

* * *

حدَّق رئيس هيئة آثار (قنا) فى وجه (نور) بدهشة ، ثم غمغم وهو يهزّ رأسه فى حيْرة :

ــ كلَّا أيها السادة .. من المؤكد أننى لم ألتق بهذا الرائد من قبل ، لا بالأمس ولا فى أى يوم آخر .

قال (نور) فى غضب :

ـ هكذا ؟!.. بِمَ تبرِّر إذن أننى أذكر ملامحك جيِّدًا ، بل أعلم أنك تضع علبة سجائرك وقدَّاحتك فى درج مكتبك الأيمن العلوى ، هذا ببساطة لأنك أشعلت سيجارة أمس أمامى .

ظهر مزيد من الدهشة ، والتوتُّر فى ملامح رئيس الهيئة ، وتمتم فى خفوت :

ـ هذا صحيح بالنسبة لعلبة السجائر والقدَّاحة ، وإن كنت لا أدرى كيف توصَّلت إلى ذلك ، فأنا واثق أننا لم نلتق مرة واحدة من قبل .

تبادل أعضاء الفريق نظرات الأسف والقلق ، ثم قال (رمزى) فى صوت آسف :

ـ تقبَّل اعتذارنا يا سيِّدى ، فيبدو أن أعصاب الرائد (نور) متوتِّرة و ....

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

ـ مهلًا يا (رمزى) .

ثم التفت إلى رئيس الهيئة ، مستطردًا :

ـ أين مساعدك الشاب ؟.. هل ستدَّعى ألَّا وجود له ؟

رفع رئيس الهيئة حاجبيه فى دهشة ، وقال :

ـ بل هو موجود أيها الرائد ، سآمره بالحضور فورًا .

لم تكد تمضى لحظات ، حتى ظهر المساعد الشاب مجيبًا رئيسه ، وما إن رآه (نور) حتى تقدَّم إليه قائلًا :

ـ هل تذكرنى يا سيِّدى ؟.. لقد أرشدتنا أمس إلى دليل و ....

قاطعه المساعد الشاب ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ أمس ؟!.. ولكننى لم أرك سوى الآن يا سيِّدى .. إننا لم نتقابل مطلقًا من قبل .

ظهرت الدهشة فى عينى (نور) لحظات ، ثم لم تلبث أن تحوَّلت إلى غضب عارم ، ووجد نفسه ينفجر صائحًا :

— أنت كاذب ، كلكم كاذبون ، هذا مخطَّط لـ....

قاطعته (سلوى) ، وهى تقول فى إشفاق :

— حتى نحن كاذبون يا (نور) ؟

استدار إليها فى حِدَّة ، ثم تردَّد لحظة ، لوَّح بعدها بكفَّيه وهو يقول فى أسًى :

— إننى لم أعد أفهم شيئًا .. لم أعد أدرى ما أصابنى .

* * *

جلس (نور) فى حجرته بأحد فنادق (قنا) صامتًا ، يفكِّر فى عمق ، وإلى جواره جلست زوجته ، ورفيقاه (رمزى) ، و (محمود) ، ولمَّا طال الصمت قال (محمود) :

— هل يؤرقك ما حدث إلى هذا الحدّ أيها القائد ؟ إنه مجرَّد حلم .

نظر إليه (نور) فى صمت بضع لحظات ، ثم قال فى صوت خافت :

— لو أنه حلم ، فهو أكثر أحلامى قوةً يا (محمود) .. لقد تعرَّفت وجهى رئيس هيئة آثار (قنا) ، ومساعده الشاب ، وكل شىء حتى تفاصيل الحجرة .

قال (رمزى) :

— ربما هو نوع من أحلام التنبُّؤ بالمستقبل ، والتى تبدو لمن يراها وكأنها حقائق ، بكل ما فيها من مشاعر وأحاسيس ، حتى الألم والإجهاد ، إنها نوع من تفريغ كل ما يختزنه العقل الباطن من متاعب ، ثم هى أيضًا نوع من الإلهام الخارق للعادة ، الذى يأتى فجأة دون سابق انذار .

مطَّ (نور) شفتيه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

— ربَّما .

قالت (سلوى) ، وهى تمرّ بأناملها على شعر زوجها فى رقَّة :

— أنت تحتاج لبعض الراحة يا (نور) ، فأنت تجهد نفسك كثيرًا فى العمل .

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وقال :

ـ أنت على حق هذه المرة يا (سلوى) ، إننى أحتاج إلى بعض الراحة ، سأرقد فى الفراش ، وأشاهد برنامج نهاية الأسبوع و ....

قاطعته (سلوى) ، وهى تبتسم فى حنان :

ـ لقد كان هذا البرنامج أمس يا (نور) ، إننا يوم السبت لا الجمعة .

نظر إليها (نور) فى دهشة لحظة ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامة بدت لها غامضة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ السبت ؟. آه .. هذا صحيح .

ثم استرخى على فراشه ، وأسبل عينيه فى هدوء ، فنهض (رمزى) ، و (محمود) ، وقال الأخير فى مرح مصطنع :

ـ حسنًا أيها القائد ، سنتركك ترتاح قليلًا .. إلى اللقاء .

لوَّح (نور) لهما بكفِّه مودِّعًا ، وقال لـ (سلوى) :

ـ أغلقى باب الحجرة ، واطلبى من إدارة الفندق عدم إرسال أيَّة مكالمات يا عزيزتى .

ولم تكد (سلوى) تغلق الباب خلف (رمزى) و (محمود) ، وتتوجَّه إلى الحجرة الثانية لطلب إدارة الفندق الآلية ، حتى قفز (نور) من فراشه ، وتناول سترته من فوق مسند المقعد القريب ، وأدناها من وجهه يفحص نسيجها فى دقَّة واهتمام ، ولم يلبث أن تنهَّد فى ارتياح ، وهو يستعيد مشهد صراعه مع الرجل الأزرق ، حينما ألقاه وسط الحصىّ والأحجار الحادَّة ، فهناك فى ظهر السُّترة الجلدية جرت عدة إصلاحات متقنة للغاية ، لإخفاء آثار بعض التمزُّقات الصغيرة ، متقنة للغاية ولكنها لم تغب عن عين فاحصة كعين (نور) .

* * *

٩ ــ المواجهــة ..

انتظمت أنفاس (سلوى) ، بعد أن استغرقت فى نوم عميق إلى جوار (نور) .. ولم يكد هو يتأكَّد من نومها ، حتى نهض من فراشه ، وتسلَّل دون صوت إلى الحجرة الثانية داخل جناحه بالفندق ، وهناك نزع حزامه من سرواله ، ووضعه فوق مائدة تتوسط الحجرة ، وأوصل طرفيه بعضهما ببعض ، بحيث صنع منه دائرة ، وضغط زرًّا صغيرًا يبدو كحلية أنيقة فى الحزام ، ووقف صامتًا عاقدًا ذراعيه أمام المائدة .

وفى هدوء انبثقت أربعة خيوط رفيعة من أشعة اللِّيزر ، من أربع نقاط متعامدة فى الحزام ، لتلتقى جميعها عند مركز الدائرة التى يصنعها ، وصنع التقاؤها ما يشبه ضبابًا متعدِّد الألوان ، ثم لم يلبث هذا الضباب أن

تكاثف ، مكوِّنًا صورة واضحة مجسَّمة للقائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية .

رفع (نور) يده بالتحية العسكرية ، على حين سأله القائد الأعلى :

ــ ماذا حدث أيها الرائد ؟ .. هل توصَّلت إلى شىء ما ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ لقد توصَّلت إلى أننا نواجه إناسًا غاية فى القوة والذكاء والخطورة يا سيِّدى ، وأنهم قد يمثِّلون خطرًا لا على مصر وحدها ، بل على العالم أجمع .

ظهر مزيج من الدهشة والقلق على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ــ يا إلهى !! إلى هذا الحد ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا سيِّدى .. والدليل على ذلك أنهم نجحوا فى إسقاط يوم كامل من ذاكرة كل من يحيطون بى .

صاح القائد الأعلى ، وقد تعاظمت دهشته :

ــ يا إلٰهى !! ماذا تقول أيها الرائد ؟

أجابه (نور) :

ــ سأخبرك بكل ما حدث يا سيِّدى ، وستقدِّر أن الأمر بالغ الخطورة بالفعل .

* * *

ساد الصمت بعض الوقت ، بعد أن انتهى (نور) من قصته ، ثم قال القائد الاعلى :

ــ هل أنت واثق أنه ليس حلمًا أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ لقد وصل بى الأمر إلى الشك فى هذا بعض الوقت يا سيِّدى ، ولكننى تنبَّهت فى اللحظة المناسبة إلى الخدعة ، لقد أسقطوا كل ما حدث أمس من ذاكرة رفاق ، ورئيس هيئة الآثار بـ (قنا) ، ومساعده الشاب ؛ وربما الدليل الذى قادنا إلى هناك أيضًا ،

ولكنهم عجزوا عن إسقاط اليوم من التاريخ ، وهذا ما لن يبلغه بشر أو حتى شيطان قط .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ــ ماذا تعنى أيها الرائد ؟

أجابه (نور) :

ــ لا ريب أننى بعد أن فقدت الوعى فى الوادى الملعون ، تعرَّض رفاق لعملية سيطرة عقلية تشبه التنويم المغناطيسى ، أو شيئًا من هذا القبيل .. المهم أنهم تحت تأثير هذه السيطرة العقلية قصُّوا كل ما يتعلَّق بالفريق ، وعملية البحث عن قاتل الدكتور (وليد) ، قصُّوا كل ما فعلناه حتى وصلنا إلى الوادى الملعون .. وهكذا بدأ هؤلاء الشياطين الزرق فى محو هذه الأحداث من ذاكرة كل من اتصل بالأمر ، فى محاولة للحفاظ على سرِّ وجودهم .

سأله القائد الأعلى :

ــ ألم يكن من الأسهل أن يقتلوكم ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـــ كان هذا سيثير عاصفة من الشكوك الجديدة يا سيِّدى ، فهناك من لا يمكنهم الوصول إليه لمحو الحادث من ذاكرته ، مثلك مثلًا ، ورجال الشرطة ، وبعض من تابعوا الحادث عن قرب ، لذا فمن الأسهل تركنا أحياء وإعادتنا إلى الوراء يومًا كاملًا ، حيث نفشل هذه المرة فى العثور عمن يقودنا إلى حيث يختبئون ، ولكنهم لم يتمكَّنوا من إعادة الزمن ؛ لذا فقد انطلقنا بسيارتى الصاروخية من القاهرة صباح الجمعة ، ووصلنا بحسب ما حاولوا إيهامنا به إلى (قنا) ظهر السبت ، هذا اليوم الزائد هو ما محا من ذهنى كل أثر للشك فى حقيقة ما حدث ، فالسيارة الصاروخية تقطع المسافة من القاهرة إلى قنا فى ساعتين على الأكثر ، لا فى يوم وبعض يوم ، ثم إنه هناك ما حدث لسترتى ، لقد تمزَّقت فى أثناء الصراع مع الرجل الأزرق ، حينما ألقى بى فوق الحصىَ والحجارة الحادَّة ، ولكنهم مداراةً للأمر ، قاموا بإصلاحها فى مهارة وإتقان ،

ولكن آثار الإصلاح لم تزل واضحة للعين الفاحصة المدقِّقة .

ساد الصمت لحظة ، ثم عاد القائد الأعلى يسأل :

ـــ لم تركوك دون أن يمْحِوا الأمر عن ذاكرتك أيضًا ؟

مطَّ (نور) شفتيه وهزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ـــ ربما لأننى كنت فاقد الوعى ، أو ربما ليوهمونى بالجنون ، مما يدفعنى إلى الخلود للراحة ، والتراجع عن بحث الأمر بأكمله .

عاد الصمت يسود مرة ثانية ، ثم قال القائد الأعلى فى هدوء وصرامة :

ـــ أنا أصدِّقك أيها الرائد ، أصدِّق كل كلمة نطقت بها ؛ لأن ذلك يتفق تمامًا مع حقيقة مخيفة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأل :

ـــ أيَّة حقيقة يا سيِّدى ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ حقيقة أن (مشيرة محفوظ) الصحفية الشهيرة بجريدة (أنباء الفيديو) المرئية ، قد ذهبت خلفكم إلى (قنا) مساء أمس ، ثم انقطعت أخبارها منذ ذلك الحين ..

* * *

مضت فترة طويلة من الصمت المفعم بالقلق والتوتر ، قبل أن يهتف (نور) :

ـ إذن فهى لم تعد إلى منزلها !! .. لقد كنت أظنهم أفقدوها الذاكرة أيضًا ، وتركوها تعود .

ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وأغمض عينيه وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !! يا للبشاعة !! هل ذهبت المسكينة ضحيَّة لهؤلاء الوحوش الزرق ؟

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، وهو يقول :

ـ من يدرى يا (نور) ؟ لعلهم يحتاجون إليها لإجراء بعض التجارب ، أو ما يشبه ذلك !

قال (نور) فى حزم :

ـ سأبحث عنها يا سيِّدى ، سأفعل المستحيل للبحث عنها ، حتى لو قاتلت هؤلاء الشياطين الزرق فى عقر دارهم .

قال القائد الأعلى محذِّرًا :

ـ احترس يا (نور) ، إننا لا نعلم شيئًا بعد عن طبيعة هؤلاء الزرق .

بدت كلمات (نور) حادة كالسيف ، وهو يقول :

ـ يكفى أن نعلم أنهم قتلة يا سيِّدى ، ألَمْ يقتلوا الدكتور (وليد) ؟

صمت القائد الأعلى مفكِّرًا بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، قائلًا :

ـ حسنًا يا (نور) وفقك الله .. ولكن حاول أن تتحاشى المخاطرة غير المحسوبة .

أجابه (نور) فى هدوء وقوة :

ـ سأفعل يا سيِّدى بإذن الله .

ابتسم القائد الأعلى ابتسامة أقرب إلى الرِّثاء ، على حين بدأت صورته المجسَّمة تتحوَّل إلى ما يشبه الضباب ، حتى تلاشت وسط مركز الدائرة ، وانسحبت أشعة اللِّيزر الأربعة إلى نقاط انطلاقها ، وساد الصمت تمامًا فى الحجرة ، ثم أسرع (نور) يرتدى سرواله وقميصه ، وسترته الجلدية ، وعقد الحزام حول وسطه ، ثم مدَّ يده يبحث عن مسدسه اللِّيزرىّ ، ولمَّا لم يجده ظهرت الدهشة على وجهه وهو يغمغم :

ـــ أين ذهب هذا السلاح اللَّعين يا تُرَى ؟ .

وفجأة .. سمع صوت زوجته تقول فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

ـــ هل تبحث عن هذا ؟

استدار (نور) إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، ثم لم يلبث وجهه أن اكتسى بمزيج من الدهشة والضيق ، فقد وقع بصره على زوجته (سلوى) ،



تصوِّب إليه مسدسه اللِّيزرىّ ، ومن عينيها تطل نظرة نارية غاضبة ، تنبئ بأنها لن تتردَّد لحظة واحدة فى قتله .. قتل زوجها .

* * *



١٠ ــ الإخوة الأعداء ..

ظل (نور) صامتًا يحدِّق فى وجه زوجته بعض الوقت ، كانت تبدو وكأن الكراهية والحقد هما اللذان يجريان فى عروقها مجرى الدم ، لم تكن فى حالتها الطبيعية ، بل كان هناك ما يسيطر على عقلها ، ويدفعها لقتل أقرب الناس إليها .. زوجها .

حطَّم (نور) حاجز الصمت بينهما فجأة ، بقوله :

ــ هل ستقتلين زوجك يا (سلوى) ؟

خرج من بين شفتيها صوت عجيب أجشّ ، لا يشبه على أى نحو صوتها الحقيقى ، يقول بلهجة تفيض كراهيةً :

ــ لقد اقتربت من موطن الخطر ، ولابدَّ أن تموت أيها الأرضى .

اتسعت عينا (نور) دهشةً حينما سمع كلمة (الأرضى) هذه ، وتفتق ذهنه فجأة عن نوع خصومه ،

وشاهد زوجته تضغط زناد مسدسه الليزرىّ دون تردُّد .. شاهد أصابعها تتجه إلى الضغط على الزِّناد ، وقرَّر أن يتحرَّك .. قرَّر أن ينقذ الكرة الأرضية ، حتى ولو أدَّى الأمر إلى قتل أحب المخلوقات إليه فى الكون بأكمله .. زوجته .

* * *

انطلقت دفعة أشعة اللِّيزر من مسدس (نور) ، الذى تطلقه (سلوى) ، بعد جزء من الثانية من تحرُّك (نور) ، الذى قفز إلى اليسار ، وانحنى إلى أسفل ، وراوغ يمنةً ويسرة ، ثم انقض على زوجته ، يقبض على معصم يدها الممسكة بالمسدس الليزرىّ ، ويشل حركتها بكل ما يملك من قوة ..

أدهشه الأمر كثيرًا ، فبرغم ضآلة جسد (سلوى) ، وبرغم قوته البدنية التى تفوقها بمراحل شتى ، إلا أنها قاومته فى قوة مذهلة ، قوة تفوق حتى ما يمكن أن تنتجه عضلاتها ، ولو تمزَّقت فى النهاية ، ووجد (نور)

نفسه مضطرًا لحشد كل قواه فى محاولة التغلُّب على زوجته ، التى تحوَّلت إلى نَمِرَة شرسة مفترسة ، وهى تجاهد لإفلات قبضتها من قبضته ، وإطلاق أشعة الليزر على رأسه ..

وأخيرًا دفع (نور) كل المشاعر الحلوة التى تربطه بزوجته بعيدًا ، وكال لها لكمة قوية جعلتها تصرخ فى ألم ، ثم سقطت فاقدة الوعى .

نهض (نور) والحَيْرَة تمتزج بالألم والأسى فى ملامحه ، وحمل زوجته التى فقدت وعيها فى صمت إلى فراشها ، حيث أرقدها فى هدوء ، وانتزع مسدسه الليزرىَّ من قبضتها ، ووقف صامتًا إلى جوار الفراش ، ثم غمغم فى حزن :

ــ سأعود لأخلِّصك من كل هذا يا عزيزتى ، سأعود بعد أن أنتصر على أصحاب الوجوه الزُّرق هؤلاء .

وفجأة .. انتفض جسده فى قوة ، وشعر بحنق بالغ يملأ أطرافه ، فقد سمع من خلفه صوتًا أجشّ ، مشابهًا

لذلك الصوت المقيت ، الذى خرج من بين شفتى (سلوى) ، يقول فى نغمة تفيض كراهيةً وبغضًا :

ــ إنك لن تخطُو خطوة واحدة أيها الرائد .

استدار (نور) فى هدوء إلى مصدر الصوت ، وتطلَّع فى حزن إلى (رمزى) ، و (محمود) ، اللذين وقفا يسدَّان باب الغرفة ، وفى عيونهما كل علامات الشُّرور والكراهيَّة .. كان على (نور) أن يعلم أنه لكى يصل إلى أصحاب البشرة الزرقاء ، عليه أن يواجه رفاقه ، وأن يعاملهم هذه المرة كالأعداء .

* * *

لم يكن أى من (رمزى) و (محمود) يحمل سلاحًا ، ولكن (نور) كان يعلم من صراعه مع (سلوى) ، أن عليه أن يواجه شابيَّن ، تضاعفت قواهما إلى نحو مخيف ، وأن صديقيْه لن يألُوَا جهدًا لقتله ، إذا ما أمكنهما ذلك ، وأن أحدهما لن يذرف عليه دمعة واحدة ، فى ظل هذه السيطرة العقلية ، التى

حوَّلتهما إلى مخلوقين غاضبين شرسين ، لاهمَّ لهما إلا القتل والدمار ، وتحطيم بنى جنسهم ، من أجل أن يسود الجنس الأزرق القادم من أعماق الكون .

وفى هدوء من يعلم عدم جدوى النقاش ، اتخذ (نور) وضعًا قتاليًا ، وباعد ما بين ساقيه ، وضم قبضته فى قوة وهو ينتظر الخُطوة الأولى من صديقيه .

وبغتة بدأ القتال ، وانقض (رمزى) ، و (محمود) على (نور) كالصاعقة ، وأطلق هذا الأخير صرخة قتالية قوية ، وهو يستقبل هجومهما بلكمة كالقنبلة وجَّهها إلى فكِّ (رمزى) ، الذى سقط إثر اللكمة ، إلى جوار الفراش الذى ترقد فوقه (سلوى) ، وفى نفس اللحظة كان (نور) يتفادى لكمة قوية من قبضة (محمود) ، ثم يهوى بقبضته على فكِّ هذا الأخير ، ويعقِّب ذلك بلكمة ثانية فى معدته ، وسقط (محمود) فى نفس اللحظة التى نهض فيها (رمزى) ، وتجلَّت

الكراهية واضحة فى عينه ، وهو يركل (نور) فى معدته بكل قواه .

شعر (نور) وكأن مطرقة حديدية قد أصابت معدته ، وتأوَّه فى قوة ، وكاد يسقط أرضًا ، ولكنه تماسك فى إصرار عجيب ، ربما لأنه كان يعلم أن مصير الأرض بأكملها قد يتوقَّف على نتائج هذا الصراع ، فشبك أصابع كفَّيه ، وضم قبضتَيْه بعضهما إلى بعض ، وهوى بهما على وجه (رمزى) كصفعة قوية ، زلزلت كيان هذا الأخير ، وألقته أرضًا فاقد الوعى ..

من القسوة أن يضطر الإنسان يومًا لمقاتلة أقرانه من بنى البشر ..

من المؤلم أن يكون هذا هو طريقه الوحيد للحياة ..

ولكن الأكثر قسوةً وألمًا أن تدفع الظروف رجلًا ، لمقاتلة زوجته ، وأعز رفيقين له فى الحياة ، من أجل إنقاذهم ..

من المحزن أن يجد الإنسـان نفسه مضطرًّا لتدمير أقرب الناس إليه ، فى سبيل إنقاذ كوكبه بأكمله ..

ومن الأكثر حزنًا أن يكون هذا الإنسان رجلًا ، يكره القسوة والتدمير ، مثل الرائد (نور الدين محمود) ...

دارت هذه الأفكار فى رأس (نور) ، وهو يتأمَّل رفاقه الثلاثة ، الذين أفقدهم الوعى فى قتال شرس ، واقترب من زوجته فى حزن ، ومسح شعرها بأطراف أصابعه ، وأغمض عينيه فى حزنٍ وألم ، ثم فتحهما وقد امتلأتا ببريق عزم وإصرار ، ودسَّ مسدسه الليزرىّ فى الجيب الخاص به داخل سترته الجلدية ، وانطلق فى طريقه لتحدِّى الموت الأزرق فى الوادى الملعون .

* * *



١١ ـ من أجل كوكب الأرض ..

توقَّفت سيارة (نور) الصاروخية فى وادى (أولاد عمرو) ، بعد منتصف الليل بساعة كاملة ، وهبط منها (نور) وهو يقبض على مسدسه اللِّيزرىّ فى قوة ، وظل واقفًا أمام سيارته فى صمت وصرامة بضع لحظات ، حتى اعتادت عيناه ضوء النجوم الضئيل ، الذى يشترك مع جزء من القمر فى إضاءة الـوادى ، ثم تحرَّك فى خطوات واسعة رشيقة نحو المنطقة الخالية من الحصَى ، ووقف يتأمَّلها لحظة ، ثم تلفَّت حوله وهو يقول لنفسه :

ـ إنهم لاينبشون الأرض كالجرذان ، كلما أرادوا الدخول أو الخروج ولاشك ، أراهن أنه هناك مدخل آخر .

دار بعينيه مرة أخرى فى أرجاء المكان ، ثم توقَّفت نظراته عند كهف تخفيه الظلال ، فتقدَّم نحوه فى حذر ،

وتأمَّل مدخله فى اهتمام بعين فاحصة خبيرة ، ثم أخرج من سترته مصباحًا صغيرًا ، وأضاءه لِيتفحَّص جدران الكهف ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى ظفر ، حينما عكست بقعة معدنية صغيرة ضوء مصباحه ، فغمغم وهو يخرج منظارًا غريب الشكل ، له عدسات حمراء اللون :

ــ هذا هو المدخل ولاريب ، إنهم يحيطونه بوسائل أمن لكشف الدخلاء .

وضع (نور) المنظار الصغير فوق عينيه ، فظهرت أمامه خيوط ضوئية حمراء ، تمتد فى شكل شبكى غير مرئى للعين المجرَّدة ، وتكاد تسد مدخل الكهف تمامًا ، فعاد (نور) يغمغم وهو يتقدَّم نحو الشبكة فى حذر :

ــ إنهم يستخدمون أسلوبًا بدائيًا ، سيعاوننى هذا كثيرًا .

وفى رشاقة ومهارة رجل مخابرات علمية تلقى تدريبات مكثَّفة ، عَبَر (نور) بين فراغات الشبكة الضوئية الدقيقة ، وندَت عنه تنهيدة عميقة ، حينما وجد

نفسه على الجانب الآخر من شبكة الأمن الضوئية ، فعاد يشعل مصباحه ، وتقدَّم عَبْر الكهف المظلم فى خطوات حذرة ، وسار طويلًا حتى وجد أمامه بابًا من الصلب ، له لون سماوى فاتح ، فأخذ يتفحَّصه فى اهتمام ، إلى إن عثر على مستطيل صغير ، يختلف لونه بعض الشىء عن باقى لون الباب .

وفى جرأة منقطعة النظير ، وبلا أدنى تردّد ، ضغط (نور) المستطيل الصغير ، ورأى الباب المعدنى ينشق نصفين ، يتحرَّك كل منهما فى اتجاه مخالف للآخر ، ليفتح أمام (نور) مشهدًا ، جعل فكّه السفلى تسقط فى ذهول ، وعينيه تنفرجان فى دهشة ، فقد رأى أمامه ممرًّا طويلًا خاليًا ، من معدن عجيب ، يشع ضوءًا أزرق شاحبًا ، بعث فى نفسه شعورًا بالخوف والرعب ، وأصبح يعلم وهو يخطو داخل الممر أنه يضع قدمه داخل مركز قيادة أصحاب البشرة الزرقاء .

* * *

تحرَّك (نور) فى قلق ورهبة داخل الممر الأزرق ، وهو يتلفَّت يمنةً ويُسرة فى توتُّر ، حتى رأى ضوءًا قويًا ، يشع من حجرة فى نهاية الممر ، فالتصق بالجدار وهو يتحرَّك نحوها فى حذر .

ملمس الجدار نفسه بعث فى جسده رعدة عجيبة ، فقد كان الجدار مصنوعًا من معدن ولا شك ، ولكنه معدن مخملى الملمس ، بارد كالثلج ، يتموَّج تموُّجات خافتة غير ملحوظة ، ولكنها محسوسة ، محسوسة إلى حدٍّ يثير الرُّعب فى قلب أشد الرجال بأسًا .

تجاهل (نور) ، أو هو حاول أن يتجاهل ذلك الملمس المقزز ، وهو يتقدَّم نحو الحجرة المفتوحة ، وحينما وجد نفسه إلى جوارها تمامًا ، خاطر بالنظر داخلها ، ولم يكد يفعل حتى هبط قلبه من بين ضلوعه إلى قدميه ..

كان يطل على حجرة واسعة ... واسعة جدًّا ، أو هى صالة عميقة رحبة ، مضاءة بلون يتراوح مابين الأزرق والبنفسجى .. جدرانها عبارة عن مجموعة من

شاشات الرَّصد ، تنقل مشاهد من جميع أنحاء العالم ، بالإضافة إلى خريطة ضخمة للكرة الأرضية ، توزَّعت فوقها مجموعة من المصابيح الزرقاء الصغيرة ، استنتج (نور) من توزيعها أنها تشير إلى مراكز أصحاب الوجوه الزُّرق ، فى أنحاء الكرة الأرضية المختلفة .

مراكز كثيرة تغطى العالم أجمع ، وتؤكد قوة وانتشار أصحاب البشرة الزرقاء ، الذين امتلأت بهم الردهة الواسعة ، وهم يتحرَّكون فى عباءاتهم الزرقاء ، بوجوههم ذات اللون المخيف ، وعيونهم الحمراء بلون الدم ، فى مشهد من أكثر المشاهد التى وقعت عليها عينا (نور) إثارة للرُّعب والرهبة .

لم يكن هذا المشهد هو ما أسقط قلب (نور) بين قدميه ، وإنما كان مشهدًا آخر ، مشهد زوجته فوق أحد شاشات الرَّصد ، شاردة النظرات ، تتحدَّث بلغة غير مفهومة إلى أحد أصحاب الوجوه الزُّرق ..

لم يفهم (نور) كلمة واحدة من ذلك الحديث ،

ولكنه استنتج على الفور أن زوجته تمدّ أصحاب البشرة الزرقاء بكل معلوماتها عنه ، وشعر بغضب عارم يموج فى أعماقه .. غضب على هؤلاء الغزاة ، الذين حوّلوا زوجته ورفيقيه إلى ألدّ أعدائه .. أعداء يسعون إلى هدف واحد ... موته .

* * *

لم يدر (نور) كم مرّ من الوقت وهو يراقب الرجال الزُّرق ، وهم يتحرّكون حركة دائبة داخل الردهة الواسعة ، ولكنه قرّر فى النهاية ألا يدّخر وسعًا فى سبيل كشف هذا الغزو للعالم أجمع ، وكانت الخطوة الأولى فى رأيه هى نقل تلك الخريطة ، التى تحوى المراكز السرّيّة للرجال الزُّرق إلى العالم ، وتحذيره من الغزو القادم .

وبلا تردُّد ، نزع (نور) حزامه ، وانتزع الحِلْية الصغيرة فى مقدمته ، كانت تلك الحِلْية عبارة عن آلة تصوير صغيرة ، مجهّزة بفيلم دقيق ، يصل حجمه إلى ربع حجم (الميكروفيلم) المعروف فى القرن العشرين ،

ولكنه حسّاس إلى درجة تكفى لالتقاط صور واضحة فى حجرة شديدة الإظلام ..

وضع (نور) آلة التصوير الدقيقة فوق عينيه ، وصوّب عدساتها شطر الخريطة الكبيرة ، وضغط الزّر الصغير أعلاها ، والتقط صورة واضحة للخريطة ، وصدر من آلة التصوير صوت خافت .. خافت للغاية ، ولكن يبدو أن آذان أصحاب الوجوه الزُّرق فائقة الحساسية ، فقد استدارت وجوههم جميعًا نحو (نور) ، وتألّقت فى عيونهم الحمراء بلون الدم نظرات غاضبة ، شعر بها (نور) تخترق جسده .. وقبل أن يتحرّك (نور) حركة واحدة ، انطلق نحوه شعاع بنفسجى دقيق ، لم يشك لحظة واحدة فى أنه يحمل إليه الموت .. الموت وحده من أجل كوكب الأرض .

* * *



وانطلق يعدُو بكل ما يملك من قوة ، نحو الباب المعدنى المفتوح ، ووراءه تصاعدت أصوات الخطوات البطيئة الثقيلة ، لأصحاب الوجوه الزُرق ..

١٢ ـ أُقتُلْ أو تُقْتَل ..

شقَّ الشعاع البنفسجى القاتل طريقه نحو (نور) ، الذى تحرَّك فى سرعة ، محاولًا الإفلات من هذا المصير ، ولكن هيهات أن تفُوق سرعته سرعة شعاع ضوئى ..

أصابت الأشعة هدفها .. أو هى على وجه الدِّقة وصلت إلى الهدف ، ولكن شيئًا صغيرًا حال بينها وبينه ، وليس هذا الشىء سوى آلة التصوير الدقيقة التى يمسك بها (نور) .

ارتطم الشعاع البنفسجى بآلة التصوير ، التى تألَّقت فجأة بلون كالذهب ، وسرَت حرارة شديدة فى أنامل (نور) ، فأفلَتت آلة التصوير من يده فى ألم ، ورآها تتحوَّل فى جزء من الثانية إلى كومة من الرَّماد ، تناثرت حوله ناعمة ..

فقد (نور) آلة التصوير .. تحطَّمت خُطَّته قبل أن تبدأ .. لم يعد أمامه سوى الهرب .. الهرب من الموت الأزرق .

دار (نور) على عقبيه ، وانطلق يعدُو بكل ما يملك من قوة ، نحو الباب المعدنى المفتوح ، ووراءه تصاعدت أصوات الخطوات البطيئة الثقيلة ، لأصحاب الوجوه الزُّرق ، وبدأ الباب المعدنى ينزلق ، فى طريقه لالتقاء جانبيه ، وصنع صوت انزلاقه معزوفة رهيبة ، بالاشتراك مع صوت الخطوات البطيئة .

ألقى (نور) كل قوته ، ورغبته فى إنقاذ كوكبه فى عضلات ساقيه ، فى محاولة لدفعهما دفعًا إلى الإسراع نحو الباب المعدنى ، قبل أن تضيق فرجته ، ويحجزه خلفه .

شعر بجسده يتحوَّل تدريجيًّا إلى آلة للعدوّ .. وفى رأسه ماجت فكرة واحدة .. الهرب .. الهرب .

مرق إلى جوار أذنه اليمنى شعاع قاتل ، وارتطم ثان بالباب المعدنى ، ولكنه لم يؤثر فيه مطلقًا ، وازداد

اقتراب جانبى الباب ، وانطلق شعاع ثالث ورابع ، وأصبح الأمل الوحيد فى النجاة ، هو عبور الفتحة التى تضيق بسرعة ، بين جانبى الباب .. وقفز (نور) .. قفز وهو يعلم أنه أمام خيارين : العبور .. أو الموت .

* * *

عوامل شتى تكون دائمًا الحد الفاصل بين الحياة والموت ، خيط رفيع هذا الذى يصل بينهما ، خيط واه ، سريع التمزُّق ، سهل القطع ...

فلو أن (نور) أكثر بدانةً ، ولو أنه أثقل حركةً ، أو أنه جبان رعديد ، ما كتبت له الحياة فى هذه الليلة ..

فقد جاءت قفزته رائعة رشيقة ، وسط مطر قاتل من الأشعة البنفسجية ، وعَبَر جسده من الفتحة الصغيرة ، كقطعة من الخبز من بلعوم ضيق ، وشعر بجسده يحتك بجانبى الباب ، ولكنه لم يتوقف ، وحينما التقى الجانبان ، كان هو فى الجانب الآمن من الباب ، فقفز واقفًا على قدميه ، وأطلق ساقيه للريح .. ولم يكد يعبر شبكة ضوء

الأمن حتى انطلقت أصوات عجيبة ، مخيفة فى أنحاء الكهف ، وسمع صوت الباب المعدنى يفتح من بعيد ، والخطوات البطيئة الثقيلة تقترب منه ، وتسعى إلى قتله .

قفز (نور) فوق الصخور والأحجار ، التى تحيط بمدخل الكهف ، وعَبرَ المنطقة العارية من الوادى الملعون بقفزات واسعة ، ثم ألقى جسده خلف أزرار القيادة بسيارته الصاروخية ، وأدار المحرِّك النفاث ..

صدرت زمجرة خافتة من السيارة ، ثم عادت إلى الصمت ، دون أن يرتفع هدير المحرِّك النفَّاث كالعادة .. وعاد (نور) يدير أزرار الإطلاق ، وهو ينقل بصره بينها وبين مدخل الكهف ، الذى أضاء فى قوة ، وبدت على عتبته ظلال زرقاء تتحرَّك فى خطوات بطيئة رهيبة ..

ويبدو أن مشهد الرجال الزُّرق قد أثار رعب السيارة الصاروخية نفسها ، فقد دار محرِّكها فور ظهور الظلال ، وانطلق بها (نور) كالصاروخ ، متفاديًا

خمسة خيوط من الأشعة البنفسجية القاتلة ، ولم يكد يعبُر حلقة الجبال المحيطة بالوادى الملعون ، حتى صاح فى انفعال يمتزج بتوتُّر بالغ :

— تُرَى .. هل سيتحوَّل الأمر إلى مطاردة صاروخية ؟.. أم أن هؤلاء المسوخ لا يغادرون وكرهم مطلقًا ؟

زاد من سرعة السيارة ، وهو يراقب الشاشة الصغيرة ، التى تنقل إليه المشهد خلفه ، ولكنه لم يلمح ما يشير إلى المطاردة ، فعقد حاجبيه وهو يغمغم :

— عجبًا !!.. لقد تركونى أفلت هكذا ببساطة .

حاول أن يجد تفسيرًا منطقيًا لذلك ، ولكن ذهنه المشوش عجز عن ترتيب الأمور .. فمد يده إلى حزامه وهو يغمغم :

— حسنًا .. فلندع التفسير لما بعد ، ولنشرح الأمر أولًا للقائد الأعلى .

شعر بغضب عارم حينما كشف عدم وجود حزامه ، وتذكر أنه نسيه هناك فى وكر الرجال الزُّرق ، وظهرت على ملامحه علامات ضيق شديد ، إذ كان هذا الحزام هو وسيلة الاتصال الوحيدة بينه وبين القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، إلَّا أنه لم يلبث أن تغلَّب على هذا الضيق ، وهو يتمتم :

— فليكن .. كل ما فى الأمر هو أننى سأضطر إلى الذهاب بنفسى ، وأعتقد أن هذا أفضل فى الوقت الحالى .

* * *

استغرقت الرحلة من (قنا) إلى القاهرة ساعة واحدة ، بسيارة (نور) الصاروخية ، وكانت عقارب ساعته الذَّرِّية تشير إلى الثانية وخمس دقائق صباحًا ، حينما توقَّفت سيارته أمام مبنى صغير ، تحمل لافتته اسم شركة مقاولات مغمورة ، فقفز من سيارته وصعد فى الدرجات الثلاث أمام الباب فى خفَّة ، ثم دقَّ الباب فى لهفة واضحة .

مضت بضع لحظات قبل أن يُفتَحُ الباب الصغير ، ورأى (نور) أمامه رجلًا هادئًا ، تأمَّله فى برود ، ثم قال :

— الشركة مازالت مغلقة يا سيِّدى ، إننا نبدأ عملنا فى السابعة صباحًا .

أجابه (نور) فى خشونة :

— هذا لايهم ، فأنا أحد العاملين هنا برتبة رائد .

تفرَّس الرجل ملامح (نور) فى هدوء وروية ، ثم سأله :

— هل لديك ما يؤكد ذلك ؟

قال (نور) فى حدَّة :

— ماذا أصابك يا (عبد القادر) ؟ .. ألا تعرفنى جيِّدًا ؟

عقد (عبد القادر) كفَّيه خلف ظهره ، وقال فى هدوء :

— لقد انتشرت عمليات تغيير الملامح ، وأصبحت رخيصة الثمن ، والأوامر هى الأوامر .

أخرج (نور) بطاقته فى حدّة ، وناوله إيّاها ، وتناولها (عبد القادر) فى هدوء ، ثم دسّها فى تجويف أسطوانى صغير أسفل جهاز مستطيل الشكل ، وهو يقول :

ـــ ينبغى أن تعتاد مثل هذه الإجراءات أيها الرائد (نور) ، فهى برغم سخافتها تقى الإدارة من أى محاولة للتجسُّس .

ثم أعاد إليه بطاقته وهو يقول مبتسمًا :

ـــ حسنًا .. البطاقة سليمة ، سنجرى الآن توزيع المسام فى بصماتك (*) .

تركه (نور) يقوده إلى جهاز كشف الشخصية عن طريق توزيع المسام العرقية ، وهو يقول فى ضجر :

ـــ والله لقد سئمت هذه الأساليب إلى حدّ الموت يا (عبد القادر) .

(*) يختلف توزيع المسام العرقية تمامًا من شخص إلى آخر ، حتى أن فحص هذا التوزيع يعطى نتائج أكثر دقة وسرعة من نتائج فحص بصمات الأصابع ، وهناك اتجاه حديث إلى اللجوء إليها بدلًا من الطرق القديمة .

ضحك (عبد القادر) ، وهو يقول :

ـــ البطاقة المغناطيسية يمكن سرقتها ، أو حتى أخذها عُنوة من الشخص المراد انتحال شخصيته ، أما المسام فلا يمكن تغييرها مهما بلغ العلم من سطوته .

حاول (نور) أن يبتسم ، ولكن كل ما يجيش به صدره عجز عن ذلك ، فاكتفى بأن ألصق راحته باللوح الشفّاف ، المثبّت فوق جهاز فحص المسام ، وسمع (عبد القادر) يقول فى بساطة :

ـــ لن يستغرق ذلك أكثر من ثانية واحدة يا سيادة الرائد ، سيضىء المصباح الأخضر ، وأسمح لك بعدها بالدخول و ....

وقبل أن يتم عبارته ، اتسعت عيناه ذهولًا ، ولم يكن حال (نور) بأقل من ذلك ، إذ أن المصباح الأخضر ظل صامتًا ، على حين انبعث من جهاز فحص المسام أزيز متقطّع ، وتحوّل اللّوح الشفّاف إلى اللون الأحمر

المتألق ، وفوق شاشة الجهاز تكوَّنت كلمات مذهلة تقول :

ـ شخص زائف .. غير مسموح بدخوله .. يفضَّل إلقاء القبض عليه ..

وفى لمح البصر تغلَّب (عبد القادر) على ذهوله ، وشهر مسدسه اللِّيزرىّ فى وجه (نور) وهو يهتف غاضبًا :

ـ من أنت أيها المخادع ؟ .. اعترف أو أذيب رأسك بأشعة مسدسى هذا .

* * *



١٣ ـ خيوط العنكبوت ..

لم يكن هناك مجال للتفكير أو التفسير ، كان المهم هو اجتياز هذه العقبة المفاجئة ، التى تسد الطريق إلى إعلام العالم بالغزو الأزرق ، وكان لابدَّ من اتخاذ خطوة جريئة سريعة ، أو ينتهى كل شىء .. واتخذ (نور) هذه الخطوة .

تحرَّك فى رشاقة وسرعة ، فركل المسدس الليزرىَّ الذى يمسك به (عبد القادر) ، ثم هوى على فكِّ هذا الأخير بثلاث أو أربع لكمات متوالية قوية ، وقبل أن يسقط (عبد القادر) أرضًا كان (نور) قد اجتاز الباب إلى الخارج ، وقفز فى سيارته الصاروخية ، ثم أطلق لها العنان مبتعدًا .

غُصَّ حلقه وهو يفكِّر فيما أصابه ، وكادت دمعة حزينة تفلت من مآقيه ، ودار فى ذهنه سؤال محيِّر .. أين يذهب ؟ وماذا يفعل ؟ ..

شعر وكأن الطرقات كلها قد سُدَّت حوله ، زوجته ، رفاقه ، زملاء المخابرات العلميــة .. كل الطرق ..

وفجأة .. ومض فى عقله طريق واحد .. طريق إلى الرجل الوحيد الذى يمكنه أن ينقذه أو يعاونه ، وبلا تردُّد انطلق (نور) إلى منزل هذا الرجل .

* * *

قفز الدكتور (محمد حجازى) ـــ كبير الأطباء المصريين ـــ من فراشه فزعًا ، وأسرع نحو شقته الصغيرة إثر رنين جرس الباب ، وضغط زرًّا صغيرًا سمح له برؤية الطارق ، عَبْر عدسات الفيديو ، ولم يكد يفعل حتى فتح الباب وصاح :

ـــ (نور) ؟!.. ماذا أصابك ؟.. إنك تبــدو منهكًا للغاية .

قال (نور) ، وهو يعبر باب المنزل بخطــوات متهالكة :

ـــ إنه أمر خطير .. خطير للغاية يا دكتــور (حجازى) ، ولقد أتيت أنشد تعاونك .

صاح الدكتور (حجازى) ، وهو يقوده إلى أريكة واسعة فى صدر المنزل :

ـــ على الــرحب والسعــة يا (نــور) ، سَلْ ما بدا لك .

شرح (نور) الأمر فى كلمات موجزة سريعة ، وظلت ملامح الدكتور (حجازى) جامدة وهو يستمع إليه ، حتى لقد ظن (نور) أنه لا يصدِّق ، فهتف بعد أن انتهى من قصته :

ـــ لماذا تقف ساكنًا هكذا يا دكتور (حجازى) ؟.. ألا تصدِّق ما أقول ؟

لم تتغيَّر ملامح الدكتور (حجازى) الجامــدة لحظات ، ثم هزَّ كتفيه وقال :

ـــ لقد عملت معك طويلًا لأصدِّقك يا (نور) ، ولكن هناك عدة نقاط مازالت تحتاج إلى تفسير .

سأله (نور) ، وهو يلقى ظهره على مسند الأريكة :

ـ سَلْ ما بدا لك يا دكتور (حجازى) ، وسأفسر كل ما تعجز عن فهمه .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم سأله :

ـ من هم مثلًا أصحاب الوجوه الزُّرق هؤلاء ؟

قال (نور) ، وهو يقاوم لتظل عيناه مفتوحتين :

ـ غزاة من كوكب آخر يا دكتور (حجازى) ، يسعون للسيطرة على كوكب الأرض ، ويعدُّون مراكزهم فى نقاط متفرِّقة من العالم ، استعدادًا للهجوم الكبير ، الذى لن يتأخَّر كثيرًا حسبما أعتقد .

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ من أى كوكب جاءُوا ؟

هزَّ (نور) رأسه وهو يسبل جفنيه فى إرهاق ، قائلًا :

ـ لست أعلم بعد ، ولكن لدىَّ من الدلائل

ما يمكِّن علماء الفلك من العثور على كوكب الغزاة ، بسهولة ويُسر .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وازدادت عيناه ضيقًا ، وهو يغمغم بلهجة متسائلة :

ـ دلائل ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا دكتور (حجازى) ، عدد كبير من الدلائل ، فهؤلاء الغزاة قدموا من كوكب يحتل نفس موقع كوكب الأرض ، ولكن فى مجرَّة بعيدة ، بدليل أنهم يتحرَّكون فوق الأرض دون استخدام أقنعة خاصة ، ولكن شمس مجموعتهم الشمسية أقل ضوءًا وحرارة من شمسنا ؛ لذا يتحرَّكون دائمًا فى الظلام ، ويتحاشون ضوء الشمس ، أو الضوء الساطع عامة ، والغلاف الجوى لكوكبهم يتكوَّن معظمه من ثانى أكسيد الكربون ، وهم يتنفسون الجزء الضئيل منه من غلافنا الجوى ، مما يزيد من اللون الأزرق لبشرتهم ، بل إنه

التفسير الوحيد للون بشرتهم ، أضف إلى ذلك أن جاذبية كوكبهم تقل بعض الشىء عن جاذبية الأرض ؛ لذا تبدو جاذبية الأرض بالنسبة لهم ضئيلة ، مما يضطرهم إلى الحركة البطيئة ، وهذا يدفعهم أيضًا إلى تجنيد عدد من سكان الأرض للعمل من أجلهم ، ألا تعتقد أن هذه المعلومات تكفي علماء الفلك ؟

غمغم الدكتور (حجازى) :

ــ مثلما حدث مع زوجتك ورفيقيك ؟

أجابه (نور) فى حزن :

ــ نعم يا سيِّدى .. لقد جندوهم لمحاربتى ، ولا ريب أنهم استجوبوهم جيِّدًا ، تحت تأثير السيطرة العقلية ، واستغلوا مواهبهم ــ التي ضمَّتْهم إلى فريقى من أجلها ــ فى محاربتى ، ولا يخفى عليك أنهم سيكونون أخطر من يطاردنى ، فهم كانوا أقرب الناس إلىَّ .. والصديق الذى يعلم عنك كل شىء هو دائمًا أخطر عدوّ لك حينما تنقلب الأمور .

صمت الدكتور (حجازى) ، ولاحت فى زاوية فمه ابتسامة ، لم تلبث أن تلاشت بسرعة وهو يعاود السؤال قائلًا :

ــ كيف تفسِّر إذن ما حدث فى مقر المخابرات العلمية ؟

تثاءب (نور) فى إرهاق واضح ، ثم أجاب :

ــ الأمر بسيط للغاية يا سيِّدى ، لقد بدَّلوا البطاقة الخاصة بتوزيع مسامى العرقية داخل الإدارة ، ووضعوا بدلًا منها واحدة زائفة ، وهكذا لن تنطبق مسامى العرقية الفعلية ، على تلك المدوَّنة فى بطاقتى داخل الكمبيوتر .

قال الدكتور (حجازى) فى لهجة هادئة :

ــ يالهم من محتالين !!

قال (نور) وهو يقاوم نعاسه بصعوبة :

ــ لابدَّ أن يعلم العالم كل شىء عنهم يا سيِّدى ، إنك ستعاوننى .. أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ـــ بالطبع يا بنىَّ ، ولكن بقى أن تجيبنى عن سؤال أخير .

فتح (نور) جفنيه إلى نصف طريقهما ، وهو يسأله :

ـــ أى سؤال يا دكتور (حجازى) ؟

سأله الدكتور (حجازى) :

ـــ ما علاقة مقبرة (أمحتب) بالأمر ؟ ولماذا قتلوا الدكتور (وليد) بدلًا من إفقاده الذاكرة كغيره ؟

عاد (نور) يسبل جفنيه ، وهو يقول بلهجة تسلَّل إليها نعاس لا يقاوم :

ـــ إن مركز قيادة ذوى الوجوه الزُّرق يختفى خلف معبد (أمحتب) يا سيِّدى ، ولكنهم لم ينتبهوا إلى أعماق الحفر التى قام بها الدكتور (وليد) ، ربما لأنه قام بها فى وضح النهار الذى يخشونه ، كما أنه دخل إليهم من مدخل غير مطروق ، ولم يتصوَّر أحدهم قدوم أحد من هذا

المكان ، ولكنه حينما دخل المعبد ، رأى الأجهزة الحديثة ، وشاشات الرصد ، وخريطة العالم ، وفهم كل شىء ولكنه كتم الأمر بداخله ، وأدَّى ذلك إلى اضطرابه وتحطم ساقه ، ويبدو أنَّ هناك عقولًا لا تخضع للسيطرة العقلية التى يشنها ذوو البشرة الزرقاء ، وهذا ما أدى إلى حتمية قتل الدكتور (وليد) ، وهذا السبب نفسه هو الذى جعلنى أحتفظ بذاكرتى على حين فقد رفاق وزوجتى ذاكرتهم .

وفجأة .. تذكر (نور) أمرًا ما ، ففتح عينيه عن آخرهما وهو يسأل الدكتور (حجازى) :

ـــ تُرَى .. هل تعلم ماذا أصاب (مشيرة) ؟.. لقد اختفت تمامًا منذ ذلك الصراع .

حدَّق الدكتور (حجازى) فى وجهه لحظة ، ثم قال فى هدوء :

ـــ لقد ظهرت هذا المساء على شاشات صحيفتها (أنباء الفيديو) ، وأعلنت خبرًا غاية فى الخطورة .

عقد (نور) حاجبيه وهو يسأله :

ـ أى خبر هذا ؟

صمت الدكتور (حجازى) برهة ، ثم قال :

ـ لقد أعلنت وجود قاتل مجنون طليق ، ينتحل شخصية الرائد (نور الدين) ، ويجوب الطرقات ، وحذرت الناس منك ، وأعلنت أنك مطلوب للعدالة .

★ ★ ★

هبطت كلمات الدكتور (حجازى) على (نور) كالصاعقة ، حتى أنه عجز طويلًا عن نطق كلمة واحدة ، ثم لم يلبث أن دفن وجهه بين كفّيه ، وشعر بالحجرة تدور حوله كالدّوامة وهو يغمغم فى أسًى :

ـ يا إلهى !! لقد أحكموا حصارهم حولى تمامًا ، إنهم لم يتركوا لى منفذًا واحدًا .

مال الدكتور (حجازى) نحوه ، قائلًا :

ـ سيطاردك الجميع ، رجال الشرطة ، والمخابرات

العلمية ، والصحافة ، وفريقك القديم ، لن يمكنك الفرار إلى الأبد .

قال (نور) فى شرود ، وبصوت أقرب إلى الهمس :

ـ ليس الفرار هو ما أسعى إليه يا دكتور (حجازى) ، أريد أن يعلم العالم حقيقة ما يحدث ، لابدَّ أن ينتبهوا ويتّحدوا حتى يمكنهم صد ذلك الغزو .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـ عمل كهذا يحتاج إلى بعض الراحة أولًا ، استلق يا بنىَّ حتى أعدّ لك كوبًا من الشاى الساخن يعيد إليك نشاطك .

ابتسم (نور) ابتسامة شديدة الشحوب ، وهو يسبل جفنيه تمامًا ، ويسترخى مسندًا رأسه إلى ظهر الأريكة الواسعة ، ودارت فى رأسه أفكار شتى ...

فكَّر فى زوجته وابنته .. فى (رمزى) و (محمود)

و (مشيرة) .. فى رفاقه الذين تحوَّلوا فى غمضة عين إلى أعداء ، يسعون إلى تحطيمه وقتله .. وهو يسعى جاهدًا لإنقاذ العالم من غزو جديد .. غزو أصحاب البشرة الزرقاء

أفاق (نور) من أفكاره ، على صوت الدكتور (حجازى) يقول :

ـــ هاك الشاى الساخن يا بنىَّ .

فتح (نور) عينيه فى صعوبة ، وتناول كوب الشاى وهو يحاول الابتسام بلا جدوى ، وسمع الدكتور (حجازى) يقول

ـــ أليس من العجيب أن تسعى لإنقاذ عالم يطاردك ؟

غمغم (نور) :

ـــ إنهم لا يعلمون ما أصابهم يا سيِّدى .

عاد الدكتور (حجازى) يقول :

ـــ هل تظن نفسك نبيًا جديدًا ، يمتلك قدرًا لانهاية له من التسامح والنُبل ؟

أجابه (نور) فى دهشة :

ـــ لست نبيًّا يا سيِّدى ، ولكن واجبى يقضى التضحية بحياتى من أجل وطنى ، فما بالك بكوكبى كله ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال فى هدوء :

ـــ هذا صحيح يابنىَّ ، اشرب كوب الشاى ... هيَّا .

رفع (نور) كوب الشاى الساخن إلى فمه ، وقبل أن يرشف منه رشفة واحدة ، تألَّق شىء فى عقله ، شىء ارتجف له جسده ، فرفع رأسه إلى وجه الدكتور (حجازى) فى فزع ، وصاح :

ـــ يا إلهى !! أنت أيضًا ؟!

وفى حركة سريعة ، رفع الدكور (حجازى) فوَّهة مسدس ليزرىٍّ فى وجه (نور) ، وقال فى صوت أجش مخيف :

ـــ ألَمْ أقل لك يا فتى ألَّا فائدة من الهرب ؟

* * *

١٤ ــ ختام الجزء الأول ..

تبخرت حالة الإرهاق التى كان يشعر بها (نور) دفعة واحدة ، أمام هذه المفاجأة المذهلة ، ووجد نفسه يقفز واقفًا ، ويشير إلى الدكتور (حجازى) فى غضب ، هاتفًا :

ــ لقد سيطروا على عقلك أنت أيضًا ، كان ينبغى أن أتوقَّع ذلك .

ظهرت ابتسامة ساخرة على شفتى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ــ ما كان يجب أن تقع فى هذا الخطأ ، مادمت تعلم أن صديقك (رمزى) قد انضم إلينا ، إنه خبير فى الطِّبِّ النفسى ، ويعرفك إلى حدٍّ مذهل .. لقد توقَّع تمامًا أن تلجأ إلىَّ حينما تضيق بك السُّبل .

قال (نور) فى حزن وغضب :

ــ لقد كاد الأمر يخدعنى فى البداية ، لولا أن تنبَّهت إلى تناقض عجيب .. لقد سألتنى حين وصولى عمَّا بى ، وما أصابنى ، ثم أخبرتنى فيما بعد أن (مشيرة) قد أذاعت تحذيرًا منِّى ، وأباحت دمى للناس .

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وقال :

ــ لقد حدث هذا بالفعل .

قال (نور) :

ــ نعم .. إننى أصدِّقك ، ولكن القول الأول والفعل الأخير يتنافيان تمامًا ، مما جعلنى أشك فى كونك واقعًا تحت سيطرتهم أيضًا .. تُرَى ، ماذا وضعت لى فى كوب الشاى ؟ .. إنه سُمّ ولا شك ، فلم تكن هناك حاجة لدس منوم صناعى ، لرجل يكاد ينهار إرهاقًا مثلى .

صوَّب الدكتور (حجازى) مسدسه إلى رأس (نور) ، وقال :

ــ أنت عبقرى أيها الشاب ، وهذا هو ما يجعل قتلك ضرورة لاتحتمل التأجيل .. فأنت تشكّل خطرًا على عملية الغزو بأكملها .

* * *

لم ينتظر (نور) حتى يبادره الدكتور (حجازى) بدفقة من أشعة اللّيزر ، فتحرّك فجأة إلى اليسار ، ودار على عقبيه ، ثم ركل المسدس الذى يمسك به الدكتور (حجازى) بركلة قوية ، أطاحت به بعيدًا ، وانقض على الدكتور (حجازى) ، ولكن هذا الأخير تلقّى أول لكمات (نور) على ذراعه ، برشاقة وقوة تتنافيان مع بدانته وعمره ، ثم وجّه لكمة إلى بطلنا كادت تهشّم أنفه ..

اتخذ (نور) وضعًا قتاليًا جديدًا ، وهو يواجه الدكتور (حجازى) ، وشعر بالحزن يعتصر قلبه ، وهو يهاجم أستاذه القديم ، ولكنه برغم ذلك لم يدّخر جهدًا فى قتاله ، فقد كانت قوى الدكتور (حجازى) قد

تضاعفت إلى حدّ مخيف ، كما يحدث عادة لكل ضحايا ذوى الوجوه الزُّرق ، وكان يقاتل بمزيج من الكراهية والحقد والشراسة ، كما لو كان واحدًا منهم ، لا من أهل الأرض ..

انقضّ الدكتور (حجازى) على (نور) ، وأمسك بتلابيبه ، ثم رفعه عاليًا كطفل صغير ، وقفز نحو النافذة المفتوحة ، يهمّ بإلقاء (نور) منها .. من الطابق الثلاثين .

رأى (نور) الموت قاب قوسين أو أدنى منه ، لم يَرَ موته ، بل رأى موت كوكب الأرض أمام الغزاة الزُّرق ، وبعث هذا الخاطر فى عروقه قوة رهيبة ، فضم قبضتَيْه ، وهَوَى بهما مجتمعينِ على مؤخر عنق الدكتور (حجازى) .

جحظت عينا الطبيب الشرعى ، ودارتا فى محجريهما ، ثم ندت عنه حشرجة مخيفة ، وهوى أرضًا كالحجر ..

تخلَّص (نور) من قبضة الدكتور (حجازى) فى صعوبة ، ثم نهض مترنِّحًا من شدة الألم والإرهاق ، وألقى بنفسه على أقرب المقاعد إليه ، وأخذ يلهث ، وهو يتأمَّل جسد أستاذه الدكتور (حجازى) ، الملقى فوق أرض الردهة .

شعر بالدموع تكاد تنهمر من عينيه ، وهو يستعيد ما حدث منذ صباح أمس ، وفاضت نفسه بالحزن والأسى ..

من كان يتصوَّر أن البحث عن قاتل فى جريمة غامضة يقود إلى كل هذا ؟ عاد بذاكرته إلى الدكتور (فؤاد عيسى) ، الذى ينتظر عودته الآن ، لإثبات براءته .. وقفزت إلى فمه ابتسامة مريرة ، وهو يتذكَّر أنه أصبح يقاتل الآن لإثبات براءته هو ، وليعلم العالم كله قصة الغزو .

نهض (نور) من مقعده ، وألقى نظرة أخيرة على

جسد الدكتور (حجازى) ، ثم توجَّه إلى باب المنزل ، وغادره فى حزن وأسًى .

* * *

انطلقت سيارة (نور) بلا هدف ، واحتبست فى حلقه غُصَّة منعته من الكلام أو حتى البكاء .

كان يعلم طريقه جيِّدًا ، ولكنه لم يكن يعرف كيفية الوصول إليه .

كان العالم كله يحاربه ..

وكان هو يحارب من أجل العالم كله ..

العالم أجمع يسعى للقضاء عليه ..

وهو يسعى لإنقاذ العالم أجمع ..

كان هو هدف الجميع ..

وإنقاذ الجميع هو هدفه الأول ..

كان عليه أن يتجاهل زوجته وابنته ورفاقه ..

وعليه أن يسعى لإنقاذ زوجات وأبناء ورفاق الآخرين ...

كان رجلًا يحمل على كتفيه عبئًا لا يطيقه أشد الرجال قوةً وبأسًا ..

عبء إنقاذ العالم بأكمله من الغزو القادم من وراء النجوم ..

عبء تحدّى الخطر الذى أطلق عليه اسم (الموت الأزرق) .

* * *

[تم بحمد الله الجزء الأول]

العدد القادم

الجزء الثانى

[السماء المظلمة]

رقم الإيداع ٣٢١٥

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا !!

٣٧



السماء المظلمة



ملف المستقبل ● السماء المظلمة ● ٣٧ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

السماء المظلمة

- لماذا يحاول الغزاة الزُّرق منع ضوء الشمس من الوصول إلى الأرض ؟
- كيف يواجه (نور) رفاقه وهم أعداء ، ويقاتلهم بشراسة من أجل الأرض ؟
- تُرى .. أينجح (نور) فى إنقاذ الأرض هذه المرة ، أم يلقى حتفه تحت (السماء المظلمة) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حل اللغز .

٣٧



الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : من وراء النجوم


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ـ لقاء فى منتصف الليل ..

عاد الدكتور (صبرى عبد الله) ـ العالم الفلكى المصرى المعروف ـ إلى منزله ، مع دقات منتصف الليل تمامًا ، وفتح باب المنزل ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغَّمًا ، وتثاءب فى قوة وهو يغلق الباب خلفه ، ثم لم يلبث أن ابتسم وهو يحادث نفسه مغمغمًا :

ـ كيف حالك أيها المنزل الخالى المسكين ؟. هل افتقدتنى هذا اليوم أيضًا ؟

كان يعبُر ردهة منزله بعينيه ، وهو يحادث المنزل كما لو كان صديقًا عزيزًا ، عندما توقَّف بصره فجأة عند نقطة ما ، وارتجف جسده ارتجافة قويَّة ، واحتبست الكلمات فى حلقه ، واتسعت عيناه خوفًا وهو يحدِّق فى هذه النقطة ..

فهناك ، وعلى الضوء الخافت المتسلِّل من النافذة

الزجاجية الصغيرة ، التى تزيّن الردهة ، رأى الدكتور (صبرى) ظلًّا ساكنًا ، تؤكد ملامحه أنه رجل ، تغطّى الظلال أعظم مما تكشف من وجهه .. لا .. ليس هناك من شك ، إنه رجل يجلس ساكنًا صامتًا فوق المقعد المجاور للنافذة ، ولكن الدكتور (صبرى) يكاد يقسم إنه يلمح بريق عينيه برغم الظُّلمة ..

حاول الدكتور (صبرى) أن يسأل عمَّن يكون ذلك المتسلِّل ، ولكن التوتُّر الشديد الذى يشعر به فى أعماقه ، حبس الكلمات فى حلقه ، وانتفض جسده فى قوة ، حينما انبعث من ذلك الظلّ الساكن صوت هادئ خافت ، يقول فى ضعف :

ـ كيف حالك يا دكتور (صبرى) ؟

حطَّمت العبارة ذلك الجمود الذى سيطر على حواسّ الدكتور (صبرى) فقفز فجأة ، وأضاء مصباح الردهة بحركة سريعة ، ثم التفت يحدِّق فى وجه زائره .. ولم

يكد يفعل حتى تراجع فى مزيج من الدهشة والخوف ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !! أنت ؟!

ابتسم الشاب الجالس أمامه ابتسامة شاحبة ، توحى بالإرهاق الشديد ، وقال فى صوت هادئ ضعيف :

ـ هل تثير رؤيتى فى نفسك كل هذا التوتُّر يا صديقى ؟.. إنه أنا .. الرائد (نور الدين محمود) ، ألَمْ تعرفنى بعد ؟.

* * *

مضت دقائق لا يدرى أحد عددها ، والدكتور (صبرى) يحدِّق فى وجه (نور) صامتًا ، ثم لم يلبث أن ازدرد لعابه فى صعوبة ، وتمتم فى صوت أجشّ ، منفعل :

ـ كيف دخلت إلى هنا يا (نور) ؟.. وما الذى أتى بك فى مثل هذا الوقت ؟

عادت الابتسامة الشاحبة تتسلَّل فى صعوبة إلى شفتى (نور) ، وبدا وكأنه يبذل مجهودًا خرافيًا للاحتفاظ بعينيه مفتوحتين ، وهو يقول :

ــ ماذا أصابك يا دكتور (صبرى) ؟.. ألا تعلم أن التدريبات التى نتلقاها فى المخابرات العلمية ، تؤهلنا لاقتحام حصن قوىّ ، لا مجرَّد منزل صغير كهذا ، حتى ولو كان مزوَّدًا بعدد من أجهزة الإنذار الإلكترونية ، أو الأقفال المبرمجة بالكمبيوتر .

وجدت الابتسامة طريقها أخيرًا إلى شفتى الدكتور (صبرى) ، بعد أن تلاشى جزء كبير من توتُّره ، واقترب فى هدوء من (نور) وهو يقول :

ــ حسنًا يا صديقى ، دَعْنا نركز جهودنا على الجزء الثانى من السؤال ، وهو ما الذى أتى بك إلى منزلى فى مثل هذه الساعة ؟

رفع (نور) حاجبيه فى دهشة ، وهو ينظر إليه ، ثم غمغم فى لهجة تنم عن السخرية والمرارة فى آن واحد :

ــ عجبًا !!.. ألا تشاهد الصحف المرئية يا صديقى ؟

مطَّ الدكتور (صبرى) شفتيه ، وهو يقول فى مرح :

ــ علماء الفلك يقضون أوقاتهم فى مشاهدة النجوم والكواكب ، ومَوْلد المجرات وفنائها ، ولا ريب أن قلوبهم تذوب فى عشق خلق الله (سبحانه وتعالى) ، حتى أنهم يملُّون مشاهدة أى عرض آخر .

تنهَّد (نور) وهو يقول فى إرهاق واضح :

ــ أنت تحتاج إذن إلى معرفة القصة منذ البداية .

وقبل أن يكمل (نور) عبارته ، أو يبدأ فى شرح القصة ، أوقفه الدكتور (صبرى) بابتسامة تفيض ودًا وصداقةً ، وقال وهو يربِّت على كتفه فى أخوَّة واضحة :

ــ ليس الآن يا صديقى العزيز ، إنك تبدو كمن لم يذق طعم النوم منذ عام كامل ، ستستحم أولًا ، وتبدِّل

ثيابك ، وتتناول وجبة شهيّة ، ثم تستغرق فى نوم عميق حتى الصباح ، وبعدها ....

قاطعه (نور) ، وهو يقول باسمًا :

ــ سأوافقك على اقتراحك كله عدا نقطة النوم يا صديقى ، فلا بدَّ لى من أن أشرح لك الأمر أولًا ، إذ من يدرى ، لعل الصباح يغيِّر من آرائك تمامًا ، أو على الأقل من حماسى أنا .

* * *

كانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف صباحًا ، حينما انتهى (نور) من رشف كوب الشاى الساخن ، وتنهَّد فى ارتياح ، وهو يقول للدكتور (صبرى) فى لهجة امتنان :

ــ شكرًا يا صديقى ، إننى مدين لك بحياتى .. فقد أعادنى ذلك التصرُّف الحضارىُّ إلى النشاط والصفاء الذهنى الذى أحتاج إليه ، حتى ينتهى ما أسعى خلفه .

سأله الدكتور (صبرى) فى اهتمام ، وهو يسترخى فى مقعده :

ــ هلَّا قصصت علىَّ الأمر من بدايته يا (نور) ؟

استرخى (نور) بدوره فى المقعد المقابل ، وقال :

ــ أعِرْنى سماعك جيِّدًا إذن ، فكثيرون لا يمكنهم تصديق كلمة واحدة مما سأقصُّه عليك .

صمت (نور) لحظة وكأنه يستجمع أفكاره ، ثم انطلق يقول فى استطراد :

ــ أنت تذكر بالطبع صديقنا القديم الدكتور (فؤاد عيسى) ، وتعلم ما أصابه بعد الاتهام الذى يحاكم من أجله الآن ، بتهمة قتل واحد من مرضاه فى مستشفى (مرسى مطروح) ، وهذا القتيل يدعى الدكتور (وليد عبد الحكيم) ، وهو واحد من علماء مصر المعدودين فى علم الآثار .. ولقد أقسم الدكتور (فؤاد) أنه لم يمسّ القتيل ، ولكنه شاهد القاتل ، ثم ألقى مفاجأته ، ألا وهى أن القاتل أزرق البشرة ، أحمر العينين بلون الدم ، أصلع الرأس تمامًا ، كل ما يرتديه أزرق اللون ، وهذا

الوصف يبدو خياليًا إلى أقصى حد ، بالإضافة إلى أن حرَّاس الأمن أكَّدُوا أن أحدًا لم يدخل المستشفى أو يخرج منه طوال الليل .. وهكذا أحكمت الخيوط حول الدكتور (فؤاد) ، لولا أن توصَّلت — عن طريق صحفيَّة شابة — إلى وسيلة وصول هذا القاتل إلى المستشفى ، دون أن يراه أحد حرَّاس الأمن ، وهذا عن طريق الجوّ ، حيث يهبط بطوَّافة ما على سطح المستشفى .. ولقد تأكَّدت بوسيلة ما من صحَّة هذا الاستنتاج ، وبناء عليه ذهبت وزوجتى ، بصحبة زميلين يعاونانى عادة فى القضايا العلمية المعقَّدة ، إلى الصعيد ، إلى الصحراء الجبلية المتاخمة لقرية (أولاد عمرو) فى محافظة (قنا) على وجه الدِّقة .. وهناك وجدنا أسطورة تتحدَّث عن رجال زرق ، يثيرون الخوف والفزع فى وادى (أولاد عمرو) .. وهناك واجهنا أحد هؤلاء المسوخ الزُّرق ، وهاجمنا بقوة لم أرَ لها مثيلًا ، وأفقدنى الوعى ، وحين استعدت وعيى ، فوجئت أن

الجميع فقدوا ذاكرتهم تمامًا ، فيما يختص بهذا الحادث ، وقاتلت حتى أثبتّ حدوثه بالفعل .. ثم فوجئت أن هؤلاء الغزاة الزُّرق قد أوقعوا زوجتى وزميلىَّ (رمزى) و (محمود) تحت سيطرتهم تمامًا ، وصنعوا منهم محاربين لى ، حتى أننى اضطررت لقتالهم ، والهرب منهم إلى الوادى الملعون مرة أخرى .. وهناك عثرت على مركز هؤلاء الغزاة ، وكشفت أنهم يعدُّون العُدَّة لغزو كوكب الأرض بأكمله ..

كان الدكتور (صبرى) يستمع إلى (نور) فى صمت منذ البداية ، مكتفيًا برفع حاجبيه دهشةً ، أو عقدهما ، أو مطِّ شفتيه دون تعليق ، إلَّا أنه مع عبارة (نور) الأخيرة ، وجد نفسه يهتف مذهولًا :

— غزو الأرض؟.. يا إلهى !! أأنت واثق مما تتفوَّه به يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه ، وقال فى حزن :

— كلُّ الثقة للأسف يا صديقى .

ثم عاد يتابع :

ـــ ولقد نجوْت بأعجوبة من هؤلاء الغزاة الزُّرق ، وحاولت اللُّجوء إلى إدارة المخابرات العلمية ، ولكن الغزاة بدَّلوا بطاقة الكمبيوتر الخاصة بى هناك مما جعلنى أبدو محتالًا ، وفى الوقت نفسه أذاعت (مشيرة محفوظ) ، صحفية (أنباء الڤيديو) ، بيانًا يحذِّر الناس منِّى ، ويطالبهم بإلقاء القبض علىَّ ، بعد أن وقعت (مشيرة) أيضًا تحت سيطرة الغزاة ، ولم يعد أمامى إلَّا أن ألجأ إلى الدكتور (محمد حجازى) ، أستاذى فى الطبِّ الشرعىِّ ، وبعد أن شرحت له الأمر فوجئت به يحاول قتلى ، وتبيَّنت أنه أيضًا قد سقط أسيرًا للسيطرة العقلية التى يمتلكها الغزاة الزُّرق ، ولكننى نجحت فى التغلُّب عليه(*) والاختفاء طيلة الصباح ، وأنا أفكِّر فى أفضل مكان يمكننى اللُّجوء إليه ، وهنا تذكرتك ،

(*) كل هذه الأحداث التى يقصها (نور) هى ملخص الجزء الأول من القصة .. راجع (الموت الأزرق) .. المغامرة رقم (٣٦)

فنحن صديقان منذ سنوات الدراسة الأولية ، وأنت عَزَب تقيم وحدك ، ثم إنك مخلص شهم إلى حدٍّ يدعو للثقة .. أضف إلى هذا وذاك أنك عالم فلك ، وهذا ما أحتاج إليه بالضبط فى الوقت الحالى .

ظلَّ الدكتور (صبرى) صامتًا ، ساكنًا ، يتأمَّل فى (نور) فى هدوء ، وإن نمَّت ملامحه عن الصراع العنيف ، الذى يدور فى أعماقه ، حتى فتح شفتيه فى النهاية ليقول :

ـــ حسنًا يا (نور) ، إننى أصدِّقك .

سأله (نور) فى هدوء :

ـــ أأنت واثق من ذلك ؟

أومأ برأسه وهو يقول فى إخلاص :

ـــ تمام الثقة يا (نور) .

ثم نهض من مقعده ، وأشار إلى النجوم التى تزيِّن السماء ، والتى تبدو واضحة خلف النافذة الزجاجية ، وقال فى انفعال :

ـ إنك تتحدث عمَّا كنت أخشاه منذ زمن طويل .. الغزو .. إن الإنسان يمتلك قدرًا من الغرور كفيل بتحطيمه يومًا ما ، فمع مليارات الكواكب الصالحة للحياة فى هذا الكون الشاسع اللانهائىّ ، يظن نفسه المخلوق الوحيد العاقل والذكى ، الذى سمح له بالحياة على ظهر كوكب صغير ، لا يبدو إلَّا كنقطة ميكروسكوبية فى بحر الفضاء الرحب ، ولكننى كنت أعلم وأنا أراقب هذه النجوم ليل نهار ، وأتصوَّر ما يحيط بكل منها من كواكب ، أن هذا الغزو آت لا محالة .. كنت أعلم أنه سيأتى اليومُ الذى يتحطَّم فيه غرور الإنسان بغزو من وراء النجوم .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ـ محال أن نسمح لهؤلاء الغزاة الزُّرق بالانتصار يا صديقى .

التفت إليه الدكتور (صبرى) فى حِدَّة ، وقال :

ـ بالطبع يا صديقى ، سنقاتل من أجل كوكب الأرض .

مدَّ (نور) كفه إلى هذا الحليف الجديد ، وأسرعت كفّ الدكتور (صبرى) تلتقى بكفٍّ (نور) ، وعلى وجهيهما أشرقت ابتسامة ، تفيض حزمًا وعزمًا ، ابتسامة تقول إن الأرض لن تسمح باحتلالها ، حتى ولو اشتعلت الحرب بينها وبين الغزو الأزرق .

* * *



٢ ـ فى الأوراق الرسميَّة ..

تصلَّبت قبضتا القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فوق مَسْنَدىْ مقعده الوثير ، داخل حجرة القيادة ، وأراد التظاهر بالهدوء ، إلَّا أن الحزن الذى عجزت ملامحه عن إخفائه ، فضح طبيعة ما تموج به نفسه ، وهو يقول بصوت متهدِّج حزين :

ـ يا إلهى !! إنه أمر عسير التصديق ، حتى أننى أُصِرُّ على سماعه مرَّة أخرى ، لأتأكد من أننى لم أفهم شيئًا ما ، بطريقة تخالف ما تقصدونه منها .

انتهى من عبارته ، وتعلَّق بصره بشفاة (سلوى) ، التى أجهشت ببكاء حار ، وهى تدفن وجهها بين كفَّيها ، و (محمود) الذى خفض عينيه الدامعتين فى حزن وأسًى ، و (رمزى) الذى كفكف دموعه ، وهو يقول فى صوت أشدَّ تهدُّجًا من صوت القائد الأعلى :

ـ نحن أيضًا نعجز عن تصديق ما حدث ، لولا أن رأيناه بأنفسنا يا سيِّدى ، صدِّقنى .. إنها خسارة فادحة .

تحجَّرت دمعتان فى عينى القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ـ وأيَّة خسارة يا (رمزى) !!

عاد (رمزى) يقول :

ـ لقد كنا هناك .. فى وادى (أولاد عمرو) ، حينما كشف (نور) أن قاتل الدكتور (وليد عبد الحكيم) هو رجل متنكِّر ، ودارت بينهما معركة قاسية ، ثم بدَّل هذا القاتل ملامحه بمهارة مذهلة ، حتى أصبح صورة طبق الأصل من (نور) ، حتى نحن كنا نعجز عن التمييز بينهما فى بعض الأحيان ، وأعتقد أن القاتل قد استعان بجراح تجميل ممتاز .

قال القائد الأعلى فى ألمٍ :

ـ وأين دار الصراع الأخير يا (رمزى) ؟

أطرق (رمزى) أرضًا ، ومضت فترة من الصمت ، لم يسمع أحدهم خلالها سوى صوت بكاء (سلوى) ، ثم قال (رمزى) فى صوت يحمل أنَّات الألم والحزن :

ـــ فى وادى (أولاد عمرو) أيها القائد ، لقد تصارعا على بعد أمتار قليلة منّا ، ثم أطلق ذلك الشبيه مسدسه على (نور) ، ولا ريب أنه قد ابتكر سلاحًا جديدًا ، أشدّ فتكًا من الليزر ، إذ أن (نور) تحلَّل فجأة ، واحترق دفعة واحدة ، مخلِّفًا كومة من الرماد البشرىّ ، لم تلبث أن اختلطت برمال الوادى ، و ... ، و ....

وبدا وكأن الكلمات تحتبس فى حلقة من شدَّة الحزن ، فتوقَّف عن المتابعة ، وساد صمت ثقيل ، قطعه القائد الأعلى بقوله :

ـــ وهكذا فقدنا الرائد (نور) .

صاحت (سلوى) فى لوعة :

ـــ نعم أيها القائد ، فقدناه إلى الأبد .

انفجرت (سلوى) فى بكاء حار بعد هذه العبارة ، على حين لزم الجميع الصمت ، إلى أن هدأت (سلوى) قليلًا ، فقال القائد الأعلى ، وهو يضغط حروف كلماته ، بطريقة تنم عمَّا يجيش به صدره من حزن وغضب :

ـــ ولكننا لن نفقده رخيصًا ، سننتقم من قاتله أشد الانتقام .. لقد بلغت من جرأة هذا القاتل الحقير ، أنه قَدِم إلى هنا محاولًا الدخول فى شخصية (نور) ، لولا أن كشفه جهاز التحقُّق من الشخصية .

غمغم (محمود) :

ـــ يا لجرأته !!

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ـــ لن تفيده هذه الجرأة حينما ننطلق جميعًا فى أثره ، إنه لن يلبث أن يقع فى أيدينا مهما بلغت مهارته .. وصدِّقونى .. إننا لن ندَّخر جهدًا فى سبيل ذلك ، سنقاتل جميعنا من أجل القضاء على الرائد (نور) الزائف .

ثم مدَّ يده إلى (سلوى) ، قائلاً فى احترام :

ــ تقبَّلى تعازىَّ يا سيِّدتى ، إنها المرة الأولى التى نلتقى فيها وجها لوجه ، ولكنها لن تكون الأخيرة .. إننا ندين لزوجك بالكثير ، زوجك المرحوم البطل الرائد (نور الدين محمود) .

* * *

لم يكد المقام يستقر بأفراد الفريق الثلاثة داخل سيارتهم ، حتى أدار (رمزى) محركاتها ، وانطلق بها فى هدوء ، ثم يسأل (سلوى) بلهجة عجيبة :

ــ هكذا نكون قد انتهينا منه .. أليس كذلك ؟

أجابته وهى تحدِّق فى الطريق بعينين شاردتين :

ــ نعم .. لقد أثبتنا وفاته فى أوراق رسمية .

قال (محمود) ، وهو يبدو أكثر شرودًا منهما :

ــ إذن فقد انتهى رسميًا الرائد (نور) .

قالت (سلوى) :

ــ انتهى فى الأوراق فقط يا (محمود) ، ولكنه مازال حيًا يرزق ، ويسبِّب قلقا بالغًا لسادتنا الزُّرق .

غمغم (رمزى) :

ــ لقد وعدناهم بتعقُّبه وقتله .. ألا يكفيهم هذا ؟

غمغم (محمود) و (سلوى) فى صوت واحد ، وبشرود رهيب :

ــ نعم .. نتعقَّبه ، ونقتله .. من أجل سادتنا الزُّرق .

كان الغزاة الزُّرق يسيطرون على عقولهم تمامًا ..

كانوا قد صنعوا منهم جيشًا من الخونة على الرغم منهم ..

كانت (سلوى) تطارد زوجها ، وتسعى إلى قتله ..

و (رمزى) و (محمود) يتعقَّبان صديقهما ، وقائدهما لتحطيمه ..

كان كل منهم يستغل مواهبه وخبراته ، ومعرفته الطويلة بـ (نور) ..

ولم يكن أحدهم يدرى أنهم بقضائهم على (نور) ، إنما يقضون على الأمل الوحيد فى النجاة أمام كوكب الأرض

وأنهم يسعون لخنق الرجل الذى يسعى لإنقاذهم ..

ولكنهم لا يعلمون ..

وهو لا يستسلم أبدًا ..

وهنـاك تكمن عناصر القتـال ..

* * *



٣ ــ ساحة المعركة ..

فتح الرائد (نور) عينيه بغتةً ، وامتدَّت يده فى سرعة ، تختطف مسدسه الليزرىّ من أسفل الوسادة ، وقفز واقفًا وهو يصوِّبه إلى الرجل الواقف أمامه ، والذى ضحك فى دهشة وهو يقول :

ــ يا إلهى !!.. هل ستقتلنى لمجَّرد أننى أيقظتك يا (نور) ؟.. إنها الثانية عشرة ظهرًا .

تأمَّل (نور) وجه صديقه ، العالم الفلكى الدكتور (صبرى) ، ثم داعب خصلات شعره المتناثرة على جبينه ، وهو يعيد مسدسه الليزرىّ أسفل الوسادة ، ويقول فى خمول :

ــ معذرة يا صديقى ، لا ريب أننــى متوتِّــر للغاية .. إننى أتصوَّر وجود هؤلاء الغزاة الزُّرق فى كل مكان .

أومأ (صبرى) برأسه ، وكأنه يعلن تفهُّمه للحالة النفسية التى يمرُّ بها (نور) ، ثم ناوله كوبًا من الشاى الساخن ، تصاعدت منه إلى أنف (نور) رائحة النعناع المعطَّر ، فرشف منه رشفة وهو يقول :

ـ أنت تدلِّلنى كثيرًا يا صديقى ، وأخشى أن أفقد بهذا روح القتال .

غمغم الدكتور (صبرى) ، وهو يتأمَّل (نور) فى شرود :

ـ لقد كنت تحتاج حقًّا إلى هذا القدر من النوم يا (نور) ، ستدهشك كمية النشاط التى سيستعيدها جسدك بعدها .

ثم أردف وهو يعقد حاجبيه ، وتبدو فى ملامحه دلالات التفكير العميق :

ـ هل أنت واثق من أن فريقك قد انقلب ضدَّك ، تحت السيطرة العقلية للغزاة الزُرق ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم بكل أسف يا صديقى ، وهذا يؤكد مدى براعة وذكاء هذا الجنس الأزرق ، فهم يطلقون خلفى أكثر الناس معرفة بى ، ولا ريب أن رفاق السابقين وزوجتى ، سيستغلّون مهاراتهم ومعرفتهم بى أبشع استغلال ، حتى يمكنهم العثور علىّ وتدميرى .

مطَّ الدكتور (صبرى) شفتيه ، وقال فى ضيق :

ـ يبد أنهم نجحوا فى ذلك إلى نحو ما ، فلقد أذاعت المخابرات العلمية صباح اليوم بيانًا ، تنعَى فيه الرائد الراحل (نور الدين) ، وتحذر المواطنين من قاتل مزيّف ، ينتحل شخصيته وهيئته تمامًا .

لم تبد الدهشة على وجه (نور) ، برغم غرابة ما سمعه وخطورته ، ولكنه اكتفى بابتسامة مريرة ، وهو يقول فى صوت أقرب إلى الهمس :

ـ كنت أتوقَّع هذا على نحو أو آخر ، منذ تبدَّلت البطاقة الخاصة بمسامِّى ، فى كمبيوتر الإدارة .

ثم اشتدت ابتسامته مرارةً ، وهو يردف :

ـ إنهم يلعبون جيِّداً هؤلاء الزُّرق .. ألـيس كذلك ؟

أمَّن الدكتور (صبرى) على قوله بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ وهذا يحتاج منَّا إلى إعداد كل ما نستطيع من قوة لهزيمتهم يا (نور) .

قال (نور) فى اهتمام ، وهو يرتدى ثيابه :

ـ لقـد أخبرتك بكـلِّ ما يخص طبيـعتهم يا (صبرى) .. ألم يمكنك بعد التوصُّل إلى الكوكب الذى أتوا منه ؟

لوَّح (صبرى) بكفِّه ، وقال :

ـ استنتاجاتك الخاصة بكوكبهم ، والتى استنتجتها من ملامحهم ولونهم صحيحة يا (نور) ، فنحن أمام غزاة أتوْا من مجموعة شمسية تشبه مجموعتنا الشمسية : ومن كوكب تعلُو فيه نسبة ثانى أكسيد الكربون على نسبة الأكسوجين ، وجاذبيته تقل بعض الشىء عن جاذبية الأرض .. هذا صحيح .

ثم أدار ذراعه فى الهواء ، مستطردًا :

ـ ولكن هناك آلاف الكواكب التى تنطبق عليها هذه الأوصاف يا (نور) .. إن الكون رحب متسع ، بأكثر مما تتصوَّر آلاف المرات ، ثم إننـى لا أجـد ما يفيدنا فى تعرُّفنا كوكبهم .

غمغم (نور) :

ـ لا بدَّ لنا من معرفة كل شىء عنهم .

هتف (صبرى) فى اعتراض :

ـ وفيمَ تفيدنا معرفة كوكبهم الأم ؟

صاح (نور) فى حدَّة مفاجئة :

ـ نتعرَّف نقطة ضعفهم على الأقـل .. لقـد لكمت أحدهم ، وكادت قبضتى تتهشَّم .. فهم يمتلكون أجسامًا كالفولاذ ، بل إننى أطلقت عليهم أشعة اللِّيزر ، فلم تُخْدش أجسامهم خدشًا واحدًا ، وربما أمكننى العثور على نقطة ضعفهم حينما نعثر على كوكبهم ، فلا يوجد إنسان واحد غير قابل للهزيمة فى هذا الكون ، ما دام واحدًا من مخلوقات الله (عزَّ وجل) .. المهم أن تعرف من أين تؤكل الكتف !!

ابتسم الدكتور (صبرى)، وقال وهو يتأمَّل فى ملامح (نور) فى إشفاق :

ـ لقد انقلب العالم كله عليك ، وما زلت ترغب فى إنقاذه يا (نور) .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

ـ هذا العالم هو أمى ، وأبى ، وزوجتى ، وابنتى ، وأشقائى يا دكتور (صبرى) ، ولو أننى تركته يفنَى ، أو يسقط قيد الاحتلال ، أكون قد دمرت كل من أحبّ ، ولست مستعدًّا لذلك ، حتى ولو حاربونى جميعًا .

وسرت ابتسامة على شفتيه ، وهو يقول :

ـ سأنقذهم على الرغم من أنوفهم .

بادله الدكتور (صبرى) الابتسام ، ثم قال فى جدِّيَّة واهتمام :

ـ والآن .. أين سنبدأ قتالنا مع الغزاة ؟

برقت عينا (نور) ببريق الحزم ، وهو يقول :

ـ سنختار ساحة قتال لن يمكنهم تصوُّرها يا دكتور (صبرى) .. إنهم يتصوَّرون أن إحكامهم النطاق حولى سيدفعنى حتمًا إلى الهرب الدائم ، بحيث يتحوَّل الأمر إلى لُعبة القط والفأر الشهيرة ، ولكننى سأفاجئهم مفاجأة مذهلة .

عقد الدكتور (صبرى) حاجبيه ، وغمغم فى قلق :

ـ أظن أننى فهمت أين ستبدأ المعركة ؟

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ تمامًا كما تصوَّرت يا دكتور (صبرى) ، سنبدأ قتالنا معهم فى ساحتهم ، فى وادى الرعب ، بجوار قرية (أولاد عمرو) .

* * *

٤ ـــ الأزرق والأبيض ..

كانت أستار الغروب تسدل على الكون فى نعومة ، وضوء الشمس ينحسر عن السماء فى بطء واستحياء ، حينما توقَّفت سيارة الدكتور (صبرى) ، على بعد أمتار قليلة من وادى (أولاد عمرو) ، وهبط هو منها متأمِّلاً الوادى الذى صنع فيه الغروب ظلالاً ، تثير الرجفة فى القلوب ، ثم التفت إلى (نور) الذى غادر السيارة بدوره ، وسأله :

ـــ أهذا هو المكان ؟

اكتفى (نور) بإيماءة من رأسه تعنى الإيجاب ، وهو يعد مسدسه الليزرىّ ، ويتأكّد من كفايته ، فهزَّ (صبرى) رأسه ، وأردف بصوت مرتعد :

ـــ لقد كنت على حقٍّ من أنه يثير الرُّعب .. يا إلٰهى !! لقد تحطَّمت أعصابى تمامًا اليوم ، منذ فاجأتنى

فى ردهة منزلى ، وتلك القصة التى حدثتنى بها عن الغزاة الزُّرق ، ثم الطرق الجانبية الوعرة التى اجتزناها ، لنتفادى نقاط المراقبة ، التى تبحث عنك على طول الطريق من القاهرة إلى هنا .. وأخيرًا هذا الوادى ، بكل ما يحيط به من أساطير وأهوال .

سرّت ابتسامة شاحبة على شفتى (نور) ، وقال :

ـــ انتظر حتى ترى وجوههم ، وستعلم أن كل ما مرَّ بنا ما هو إلا فتات .

أثارت هذه العبارة رعدة شديدة فى جسد (صبرى) ، وهو يغمغم :

ـــ ربَّاه !! ألى هذا الحدّ ؟!!

ربَّت (نور) على كتفه ، وقال فى هدوء :

ـــ يمكنك التراجع الآن يا صديقى ، ولن يتهمك أحد بالجبن .

ابتسم (صبرى) وقال :

ـــ من قال هذا ؟! .. إننى سأتَّهم نفسى بقمة الأنانية ، إذا ما انسحبت الآن يا (نور) .

تنهَّد (نور) وهو يقول :

ـــ إذن ، فلنتقدَّم على بركة الله .

★ ★ ★

لم يضع (نور) وقتًا طويلًا فى البحث ، فقد توجَّه مباشرة إلى ذلك الكهف الذى كاد يلقى حتفه فيه ، فى لقائه الأول مع هؤلاء الغزاة الزُّرق ، ولم تكد قدماه ، وقدما (صبرى) تستقر على مدخل الكهف ، حتى أضاء (نور) مصباحه الصغير ، وكشف عن جدران الكهف فى سرعة ، ثم لم يلبث أن أشار إلى دائرة معدنية عكست ضوء المصباح ، وقال :

ـــ من الواضح أنهم لم يتوقَّعوا عودتى إلى هنا مطلقًا ، فوسائل الأمن لديهم لم تتغيَّر ، وليس أمامنا سوى اجتياز شبكة من الأضواء تحت الحمراء ، ثم نصبح أمامهم تمامًا .



ولم تكد قدماه ، وقدما (صبرى) تستقر على مدخل الكهف ، حتى أضاء (نور) مصباحه الصغير وكشف عن جدران الكهف ..

غمغم (صبرى) وهو يتسلَّل عَبْر شبكة الأضواء ، مستعينًا بمنظار خاص ، يعكس الأشعة تحت الحمراء بالذات .

ــ أهذا هو كل ما وضعوه من وسائل الأمن ؟

أجابه (نور) ، بعد أن عبرا شبكة الضوء إلى الجانب الآمن :

ــ إنه مجرَّد احتياط بسيط ، فهم لا يتوقَّعون أن يُقْدِم أحد على اقتحام الوادى ، بعد أن أحاطوه بأساطير تثير الرعب ، وحتى إذا عبَر أحدهم الوادى ، فلن ينقِّب فى الكهوف عن وسائل أمن أو غيره ؛ لذا فهذا الأسلوب فعَّال للغاية برغم بساطته .

اجتاز الاثنان ممرَّات الكهف فى صمت ، حتى توقَّفوا أمام الباب المعدنى الأزرق الكبير ، وفتحه (نور) بالضغط على المستطيل الصغير فى جانبه ، وندَّت من حلق (صبرى) شهقة خافتة ، حينما طالعه الممر الطويل ، ذو الضوء الأزرق الشاحب ، ولكن

(نور) بتر هذه الشهقة بإشارة من يده ، وعبر كلاهما الباب المعدنى إلى الداخل ..

لم يكد (صبرى) يستند بظهره إلى حائط الممر المعدنى ، حتى ابتعد عنه فى حركة حادَّة ، وتأمَّله فى مزيج من الدهشة والخوف ، وهو يمدّ يده ليلمسه ، مغمغمًا :

ــ يا إلٰهى !! هذا الجدار !!.. أرأيت ماذا يفعل يا (نور) ؟

أسكته (نور) بإشارة غاضبة من يده ، فعاد (صبرى) يلتصق بالجدار فى اشمئزاز واضح ، وتحرَّك نحو (نور) ، الذى اتجه من فوره إلى الردهة المفتوحة فى نهاية الممر ..

برغم الوصف التفصيلى ، الذى ألقاه (نور) على مسامع الدكتور (صبرى) ، قبل وصولهما إلى هذا المكان البغيض ، وبرغم أنه كان يتوقَّع تمامًا كل ما وقعت عليه عيناه ، إلَّا أن جسده انتفض فى قوَّة ، وكاد يسقط

فاقد الوعى ، حينما وقعت عيناه على وجوه الرجال الزُّرق ، الذين يملئون الردهة الواسعة ..

فقد بدت له ملامحهم مخيفة إلى أقصى حدّ ، برءوسهم الصلعاء ، الخالية من الشعر تمامًا ، وبشرتهم الزَّرقاء اللامعة ، وعيونهم الحمراء بلون الدم ..

كان تركيبهم الخارجى يشبه البشر تمامًا ، إلا أنهم أقل طولًا ، وأبطأ حركةً ، ولكن ملامحهم كانت تذكِّر الإنسان بأفلام الرُّعب القديمة ..

ووجد (صبرى) نفسه بلا وعى ، يقارن بين بشرتهم الزرقاء وبشرته البيضاء ، ووجد نفسه يشكر الله (سبحانه وتعالى) من أعماقه على هذا اللون الأبيض ، ولكنه لم يلبث أن تساءل فى دهشة ، عمَّا إذا كان هؤلاء الزُّرق يحبون بشرتهم الزرقاء أيضًا ، وتساءل كذلك هل أثارت بشرتنا ذعرهم واشمئزازهم ، حينما وصلوا إلى كوكب الأرض للمرة الأولى ؟!..

أفاق الدكتور (صبرى) من هذه الأفكار المتلاحقة ، على لمسات أصابع (نور) ، وسمعه يهمس فى قلق :

ــ انظر هذا الرسم التخطيطى ، فوق شاشة الكمبيوتر السابع إلى اليسار يا صديقى ، وأخبرنى ماذا يعنى ؟

وضع (صبرى) فوق عينيه منظارًا صغيرًا مقرِّبًا ، وأخذ يتأمَّل الرسم الواضح فوق شاشة الكمبيوتر ، ثم لم يلبث أن شعر برعب شديد ، وأزاح المنظار عن عينيه وهو يلتفت إلى (نور) ، هاتفًا فى صوت هامس :

ــ إنه تخطيط لمشروع خطير يا (نور) .. خطير للغاية ..

سأله (نور) فى اهتمام وقلق وهمس :

ــ أى مشروع هذا يا (صبرى) ؟

همس (صبرى) فى توتُّر :

ـ يبدو أن شمس كوكبهم أضعف كثيرًا من شمسنا ، كما توقَّعتَ أنت يا (نور) ، وهذا يقلقهم ويضطرهم إلى العمل ليلًا فقط ؛ لذا فهم قد صمَّموا نوعًا من الأقمار الصناعية ، يشبه المناظير الشمسية تمامًا .

سأله (نور) وقد تضاعف قلقه :

ـ ولِم ؟ ـ

أجابه (صبرى) :

ـ ليصنعوا حائلًا بيننا وبين أشعة الشمس ، ليتلقَّوْا أشعة الشمس الساقطة على الأرض فى مجموعة من العدسات ، تمحوها أو ترسل منها أقل القليل .. إنهم يسعون فى اختصار إلى تحويل شعبنا إلى شعب يرقد فى الظلام ، وتظلّله دائمًا سماء مظلمة .

* * *

للحظات طويلة ، لم يفهم (نور) ما يقصده الدكتور (صبرى) ، ثم لم يلبث أن استوعب الأمر كله دفعة واحدة ، فاتسعت عيناه ذُعرًا وذهولًا ، وهو يقول هامسًا :

ـ يا إلٰهى !! سيقضى هذا على أطفالنا ، ونباتاتنا ، وهذا يعنى بالتبعية مصرع الماشية وباقى أنواع اللحوم .. إنها عملية قتل جماعية ، مجزرة لا تعرف الرحمة .

صاح (صبرى) فى صوت مرتعد ، شديد الخفوت :

ـ لا بدَّ أن نحطِّم قمرهم الصناعى ، بواحد من صواريخنا عابرة الكواكب .

عقد (نور) حاجبيه مفكِّرًا ، وهو يغمغم :

ـ ربَّما كانت عدساته منيعة مثلهم يا صديقى ، وهنا لا توجد سوى وسيلة واحدة .

نظر إليه (صبرى) مستفسرًا ، فتابع (نور) قائلًا فى عزم :

ـ أن نحطِّم هذا المشروع منذ بدايته مهما كان الثمن .

فتح (صبرى) شفتيه ، وهمَّ بنطق عبارة واحدة ، إلَّا أن الكلمات احتبست فى حلقه ، وجسده ارتجف فى

رعب ودهشة ، عندما جاءت من خلفهما عبارة ساخرة مخيفة ، يقول صاحبها :

ـ الثمن ؟!.. يا لَك من مغرور ، إنك ستدفع الثمن فورًا ، ولكن التسليم سيتأخَّر كثيرًا أيها الرائد (نور) .

* * *



٥ ـ الموت فى قلب الجبل ..

يبدو أن عقل الإنسان سيظل أبد الدهر ، عاجزًا عن تخيُّل مالم تره عيناه ، مهما بلغ صاحبه من الحصافة ، وسعة الأفق .. فبرغم أن (نور) قد أدْلى بوصف دقيق للغزاة الزُّرق على مسامع الدكتور (صبرى) ، إلَّا أن جسد هذا الأخير ارتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، حينما وقع بصره على الرجال الخمسة ، ذوى البشرة الزرقاء اللامعة ، الذين يحدِّقون فيه بعيون كالدم ، بلا قرنية أو رموش ، بلا شعر على الإطلاق ، وتراجع إلى الخلف فى رعب ، وكأنما اخترقت تلك العيون الدموية جسده ، ومزَّقت أوصاله ، على حين لم يحرِّك (نور) ساكنًا ، وكأنما كان يتوقَّع هذا اللقاء ..

لم يلتفت إلى الوجوه الزُّرق ، والعيون الحمراء بلون الدم ، لقد تعلَّق بصره بذلك الوجه الأبيض الذى

يتقدَّمهم ، بصاحب العبارة التى صكَّت مسامعهم منذ لحظات .. لقد تعلّق بصره بصديقه ، ورفيقه القديم (رمزى) ..



كان يقف أمامه باسمًا شامتًا ، كأنه عدوٌّ قديم لا رفيق ، خاض معه العديد من المغامرات ، وحطَّما معًا أكثر الألغاز العلمية خطورةً وغموضًا ..

كان (نور) يعلم أن (رمزى) لم يعد هو (رمزى) ..

لقد سيطر هؤلاء الغزاة الزُّرق على عقله ، وعقول أصدقائه ورفاقه ..

سيطروا على عقل زوجته وفريقه ، وحوّلوهم من رفاق إلى أعداء ..

كان يعلم أن الذى يقف أمامه الآن هو عدوّ .. وعدوٌّ خطر ..

ولم يتحرّك أصحاب الوجوه الزُّرق ، ولم يفتح أحدهم فمه الرقيق الخالى من الشفاه ، وإنما كان (رمزى) هو الذى تكلم ..

تكلم بصوت أجش ، لايمت بصلة لصوته القديم ، وقال فى لهجة شامتة ساخرة :

ـــ أخطأت حينما تصوَّرت أننا لم نتوقَّع عودتك إلى هنا يا (نور) .. يبدو أنك نسيت أننى خبير فى الطب النفسى ، وأن خبرتى تكفل لى توقُّع كل خطواتك ، مهما بدت مفاجئة للآخرين .

لم يحرِّك (نور) ساكنًا هذه المرة أيضًا ، واتسعت

عينـــا (صبرى) دهشة ، وهـــو يتأمَّـــل فى ملامح (نور) .. فقد خيِّل إليه أنه يلمح شبح ابتسامة ساخرة على شفتيه ، على حين استطرد (رمزى) :

ـــ لقـد تعمَّدنـا عدم تبديـل وسائـل الأمـــن ، وأعطينـاك كل شعـور بالأمـان ، بل إننـا يسَّرنـا لك الوصول إلى هنا .. لقد قررنا أن نوفِّر وقت مطاردتك ، مادمنا نعلم أنك ستعود حتمًا إلى هنا .. فهذا هو المركز الوحيد الذى تعرفه .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، وأردف :

ـــ لقد أتيت بقدميك إلى هنا ، وهذه هى نهاية المطاف يا (نور) .

أنهى (رمزى) عبارته بابتسامة شامتة ، وعلى إثرها رفع الرجال الخمسة الزُّرق أيديهم المعروقة فى وجـه (نور) و (صبرى) ، وبين أصابعهـــم الزرقـــاء استقرت تلك المربَّعات الشفافة ، التى تطلق الأشعة البنفسجيَّة القاتلة .

★ ★ ★

التصق الدكتور (صبرى) بالجدار الأزرق المتموِّج فى ذُعر ، وهو يتوقَّع الموت بين لحظة وأخـرى ، ولكـن (نور) لم يستسلم .. انطلقت يده فى سرعة البرق إلى سترته ، وانتزع من جيبها الداخلى شيئًا ما ، صوَّبه إلى أصحاب الوجوه الزُّرق .

لم يكن هذا الشىء هو مسدسه الليزرى ، وإنما كان جهازًا أسطوانيًّا ، يشبه مصباح الجيب ، ضغط زرًّا فى أعلاه ، فأطلق الجهاز أزيزًا قويًّا يصمُّ الآذان ..

مشهد عجيب هذا الذى رأته عينا (صبرى) ، فقد سقطت المربَّعات الشفَّافة من الأيـدى الزرقـاء ، ورفع الرجال الزُّرق أكُفَّهم إلى آذانهم ، وسقطوا أرضًا يتلوَّوْن من شدة الألم ، وظهر ذهول شديد على وجه (رمزى) ، على حين أوقف (نور) جهازه ، وتوقَّف الأزيز المؤلم ..

حدَّق (رمزى) فى وجه (نور) بذهول ، فابتسم هذا الأخير وهو يقول :

ـــ الصوت يا عزيزى (رمزى) .. الصوت المرتفع هو نقطة ضعفهم الوحيدة .. لقد تنبهت إلى هذه الحقيقة ، حينما تذكَّرت كيف سمعوا صوت آلة التصوير الخافت ، وهى تعمل فى المرَّة السابقة ، تذكَّرت ذلك فجأة ، وفهمت أن آذانهم مرهفة للغاية ، وأنهم لن يتحمَّلوا صوتًا قويًا كهذا .

استمر الذهول على وجه (رمزى) ، وانتقل إلى وجه (صبرى) ، على حين تابع (نور) قائلًا :

ـــ إننى تلميذ نجيب يا (رمزى) ، ولقد تعلَّمت على يديك أصول الطب النفسى وقواعده ، وعلى العكس مما تظن ، كنت أعلم أنكم تنتظروننى هنا ، وأنكم ستعدُّون لى فخًا ما ، ولكننى كنت واثقًا من انتصارى بهذا السلاح الجديد .

ظلَّ (رمزى) صامتًا لحظات ، على حين بدأ الرجال الزُّرق يستعيدون نشاطهم ، وينهضون فى

بطء .. وقبل أن يوجِّه إليهم (نور) سلاحه مرة أخرى ، ابتسم (رمزى) وقال بصوته الأجش :

ـــ إنك لم تفقد ذكاءك وألمعيَّتك يا (نور) ، ولكنك نسيت شيئًا واحدًا .

وبسرعة عجيبة أخرج (رمزى) من جيبه مسدسًا ليزريًّا ، وصوَّبه إلى (نور) و (صبرى) ، وهو يقول :

ـــ إن سلاحك هذا لن يؤثر فىَّ أنا ، وإن طبيعتك ستمنعك من قتلى على حين لن يمنعنى شىء من تمزيقك إربًا .

* * *

تحرَّك (نور) بسرعة ، فابتعد عن طريق حزمة أشعة اللِّيزر ، التى أطلقها (رمزى) نحوه ، ثم مال جانبًا ، وانقضّ على رفيقه القديم كالصاعقة ، وبركلة مُحكمة أطار المسدس اللِّيزرىّ من كفِّه ، ثم هوى على فكِّه بلكمة كالقنبلة ، ولكن (رمزى) تحاشاها فى مهارة

عجيبة ، ثم غاصت قبضته فى معدة (نور) الذى تراجع فى ألم ، ثم تمالك نفسه ، وعاد ينقضُّ على (رمزى) ..

راقب (صبرى) الصراع فى ذُعر ، وأخذ ينقل عينيه فى توتُّر ، بين (نور) والرجال الزرق ، الذين استعادوا نشاطهم تمامًا ، ونهضوا فى بطء ، وعيونهم الحمراء بلون الدم تتابع القتال ، وكأنهم يراقبون تجربة علمية مثيرة ..

كان (رمزى) يقاتل كوحش كاسر ، وقد تضاعفت قوته أضعافًا ، كما يحدث لكل من يقع تحت سيطرة هؤلاء الغزاة .. وكان من الواضح أن (رمزى) لا يسعى بالدرجة الأولى لهزيمة (نور) ، ولكنه يسعى إلى شىء آخر ، ويبدو أنه قد نجح فيما يسعى إليه ، إذ وجَّه لكمة قويَّة ، بدت لأول وهلة وكأنها ستهوى على فكّ (نور) ، ولكنها بدلًا من ذلك أطاحت بالجهاز الاسطوانى بعيدًا ، ذلك الجهاز الذى يضمن التفوُّق لـ (نور) ..

شعر (صبرى) بخطورة فقد الجهاز الصوتى ، وقفز نحوه محاولًا التقاطه ، فى نفس اللحظة التى أنهى فيها (نور) صراعه مع (رمزى) ، بلكمة ساحقة خلف أذنه ..

وقبل أن يلتفت (نور) إلى حيث سقط الجهاز ، وقبل أن تلتقطه أصابع (صبرى) ، انطلق خيط من الضوء البنفسجى نحو الجهاز ، الذى تألق بشدة ، ثم تحوَّل إلى كومة من الرماد ..

وبقى (نور) و (صبرى) بلا أسلحة أو حماية ، أمام خمسة من الرجال الزُّرق .. وفى أرجاء الممر المعدنى فى قلب الجبل ، انبعثت رائحة مخيفة ... رائحة الموت .

٦ ــ وأطبقت المصيدة ..

لم يدر الدكتور (صبرى) فى هذه اللحظـــات تفاصيل ماحدث ، ولكنه اعترف فيما بعد أنه كشف أن الفارق بينه وبين رجل مخابرات علمية مثل (نور) هو الفارق بين سرعة السيارة القديمة التى تُدار بالبنزين ، وتلك الصاروخية التى تنطلق بالدَّفع النوَوِّى فى القرن الحادى والعشرين ..

فقد تسمَّر الدكتور (صبرى) فى مكانه حينما واجه الموت ، ولكـن (نور) لم يتوقَّـف ، بل جذبـه من معصمه ، واضطره اضطرارًا إلى العَدو بجواره ، ليبتعدا عن مرمى الرجال الزُّرق ، وينطلقا بأقصى سرعة ، داخل ممَر جانبى طويل ، لم يدر أيهما إلى أين يقودهما ، ولكن الممر الأساسى ، الذى يقود إلى خارج الجبـل ، كان مسدودًا بأجساد الغزاة ، والردهة الواسعة تموج بهم ،

وهذا الممر الطويل هو الأمل الوحيد .. كانا يجريان بلا هدف ، وسط عدد من الحجرات المغلقة ، على جانبى الممر ، وخلفهما ارتفعت أصوات خطوات الرجال الزُّرق البطيئة ، الثقيلة ، المخيفة ... وفى توتُّر بالغ ، هتف (صبرى) :

ــ ماذا سنفعل ؟ وإلى أين ننطلق ؟

أجابه (نور) فى لهجة بدت هادئة ، إلى حدٍّ أثار أعصابه :

ــ لست أدرى .. إننا نحاول الهرب ، هذا كل ماهنالك .

بدا الممر كأن لا نهاية له ، وعصف الغضب بـ (صبرى) الذى صاح :

ــ لست تدرى ؟ .. لست تدرى ؟ إنك تتحدَّث كما لو كنت تقتل نفسك فقط ، ولكنك فى الواقع تقتلنى أيضًا ، وليس هذا من حقِّك .

لم ينطق (نور) بكلمة ، ولم يحاول الدفاع عن

نفسه ، بل أن الوقت والموقف لم يمهلاه ما يكفى للدفاع عن نفسه .. فقد انطلقت حولهما خيوط الأشعة البنفسجية القاتلة ، بعد أن وصل الرجال الزُّرق إلى بداية الممرّ ، وأصابت الأشعة الجدران حولهما ، والأرض بين أقدامهما ، فصرخ (صبرى) :

ــ لقد انتهينا .. لقد أطبقت المصيدة علينا ، وما من أمل فى الفكاك منها .

* * *

فى عالمنا هذا لا يملك المرء سوى التفكير والمحاولة ، أما التوفيق أو النصر ، فهو هبة من الله (سبحانه وتعالى) ، وهو يمنحه (سبحانه) لمن يستحقه من عباده ..

فلم يكد (صبرى) ينتهى من عبارته ، حتى لمح (نور) بطرف عينه مدخل ممر فرعى آخر ، يمتد أيضًا إلى مسافة بعيدة ، فجذب (صبرى) من معصمه ، ومال به إلى الممرِّ الجانبى وهو يهتف :

ــ دَعْنا نبتعد أولًا عن طريق أشعَّتهم القاتلة ، ثم نتناقش فى أمر المصيدة والفكاك منها فيما بعد .

تأمَّل (صبرى) الممر الجديد فى دهشة ، ثم قال وهو يلهث من شدة التعب والانفعال :

ــ يا إلهى !! إننى لم أرَ هذا الممــر ، إلَّا حينما جذبتنى إليه ، إن ذلك اللون السماوىّ الشاحب يخفى معالم الجدران تمامًا .

انتظر (صبرى) أن يسمع من فم (نور) تعليقًا على ما قال ، ولكنه بدلًا من ذلك فوجئ بـ(نور) يتسمَّر فى مكانه ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!

أثار هذا التوقُّف المفاجئ دهشة (صبرى) ، فأبطأت قدماه ليتوقَّف بدوره ، وهمَّ بسؤال (نور) عما أثار دهشته إلى هذا الحدّ ، ولكنه قبل أن ينطق بكلمة ، ارتطم جسده بجدار من الصلب ــ أو هكذا خُيِّل له ــ فسقط أرضًا ، وشعر برأسه يدور فى قوة ،

فرفع عينيه إلى حيث اصطدم ، ولم يكد يفعل حتى اتسعت عيناه ذعرًا ، وكاد يطلق صرخة عالية ..

فهناك .. على بعد خطوات منه ، انتصب جسد أزرق فى عباءة زرقاء ، يحدِّق فيه بعينين حمراوين بلون الدم ، وبغضب ليس له مثيل .. كان هذا هو جدار الصلب الذى ارتطم به ..

* * *

كم هو مثير للرُّعب مرأى أصحاب الوجوه الزُّرق ، فى قلب الدكتور (صبرى) .. لقد تسمَّر فى مكانه وهو يحدِّق فى الوجه الأزرق ، واليدين المعروقتين ، اللتين انحنيتا نحوه ، ولم يلتفت إلى صرخات (نور) ، الذى صاح :

ـــ ابتعد يا (صبرى) ، لا تسمح له بإمساكك .

ولكن (صبرى) لم يستطع حراكًا ، واكتفى بدقَّات قلبه التى ارتفعت ، حتى كاد القلب نفسه يخترق

ضلوعه ، ويثب خارجًا ، وتعلَّقت عيناه المذعورتان بالأصابع الزرقاء ، التى اقتربت من جسده حتى لامست سترته ..

وفجأة .. رأى الدكتور (صبرى) مشهدًا لن ينساه ما بقى له من العمر ، رأى (نور) يثب كالفهد ليسقط بين ذراعى المسخ الأزرق ، ويجذبه معه فى سقطة ذات دوىّ شديد ، بعيدًا عن (صبرى) ..

كانت القصة التى رواها (نور) لـ (صبرى) مسبَّقًا ، تؤكد أن هؤلاء الزُّرق كالفولاذ ، لا تؤثر فيهم قبضات البشر ، مهما بلغت قوتها ، ولا حتى أشعة الليزر القاتلة .. وكان السلاح الوحيد لهزيمتهم ، هو ذلك الجهاز الصوتى الأسطوانى الذى احترق وتلاشى منذ دقائق ، وهجوم (نور) على صاحب الوجه الأزرق هذا ، والتحامه المباشر معه دون سلاح ، يعنى الانتحار ، الانتحار المؤكد .

هذا مادار برأس الدكتور (صبرى) ، فى نفس

اللحظة التى وثب فيها (نور) على الوحش الأزرق ، وهذا مازاد من ارتجافه مع اقتراب صوت خطوات الزُرق الآخرين ، ولكن كل هذا لم يستغرق لحظات ..

فلقد قبض المسخ الأزرق على وسط (نور) ، ورفعه إلى أعلى كما لو كان يهم بإلقائه على الجدران المعدنية ، رفعه كما لو كان يرفع حصاة صغيرة ، وصرخ (صبرى) جزعًا :

ـ يا إلهى !! (نور) .

ولكن (نور) أحاط فمه بكفَّيه ، ثم أطلق صرخة مدوِّية قويَّة ، ارتج لها الممر ، وتوقَّفت لها أصوات الخطوات المخيفة ، وارتجف لها جسد المسخ الأزرق ..

نعم .. ارتجف جسد المسخ الأزرق .. فلم تحتمل أذناه الحسَّاستان هذه الصرخة القوية ، فترك فريسته مرغمًا ورفع كفيَّه المعروقتين إلى أذنيه فى ألم واضح .. وعاد (نور) يطلق صرخة أخرى أشد قوة ، وتلوَّى الأزرق من شدة الألم ، على حين لم يضع (نور) لحظة



قبض المسخ الأزرق على وسط (نور) ورفعه إلى أعلى كما لو كان يهم بإلقائه على الجدران المعدنية

واحدة ، فجذب (صبرى) من معصمه مرة أخرى ، واندفع به إلى باب كبير مفتوح فى نهاية الممر الجانبى ، وسرعان ما دلفا عَبْر الباب ، واستدار (نور) يغلقه خلفه فى إحكام ، على حين تطلَّع (صبرى) فى ذهول إلى ذلك الشىء الضخم ، الذى يستقر وسط الردهة الضخمة ، التى يقود إليها الباب ، وهتف بصوت مختنق من شدة الانفعال :

ــ يا إلهى !! انظر يا (نور) .

التفت (نور) فى حِدَّة ، ينظر إلى حيث أشار (صبرى) ، ثم لم تلبث الدهشة أن كست وجهه بدوره .. فهناك وسط القاعة الضخمة ، استقرت عدسة داكنة ، بنيَّة اللون ، تبلغ مساحتها ضعفى حجم ملعب الدورة الأوليمبية ، وحولها تناثرت أجهزة عديدة متقدِّمة للغاية ، وغمغم (صبرى) وهو يشير إليها فى توتُّر ورعب وانفعال :

ــ إنها وسيلة منع ضوء الشمس ، إنها الطريق إلى (السَّماء المظلمة) .

* * *

٧ ــ غروب إلى الأبد ..

تأكَّد (نور) أولًا من إحكام إغلاق الباب المؤدِّى إلى الردهة الواسعة ، ثم هبط مع (صبرى) درجات سُلَّم ليِّن صغير إلى قلب الردهة ، وتأمَّل كلاهما العدسة البنِّية العملاقة فى وجوم وقلق ، إلى أن قال (نور) :

ــ يا إلهى !! لقد كنت أظن مشروعهم قيد الدراسة ، ولكن يبدو أنهم قد اقتربوا كثيرًا من مرحلة التنفيذ .

فحص (صبرى) الأجهزة المتناثرة فى اهتمام ، ثم قال :

ــ صحيح أننى لا أفهم شيئًا فى عدد كبير من هذه الأجهزة يا (نور) ، ولكننى أستطيع الجزم أن المرحلة الوحيدة الباقية ، هى إطلاق ذلك القمر الصناعى ، الذى يشبه العدسة .

هتف (نور) وهو يتحسَّس المعدن العجيب ، الذى صنع منه إطار العدسة الخارجى :

ـ بل هو عدسة بالفعل ، عدسة عملاقة ، يمكنها مع بعض دراسات المسار والسرعة ، تغطية نور الشمس عن الأرض ، مدى الحياة .

غمغم (صبرى) فى شرود :

ـ حياة من ؟

التفت إليه (نور) ، وصاح فى حماس :

ـ لا بدَّ أن نحطم هذه العدسة يا (صبرى) ، مهما كان الثمن .

لم يكد (نور) يتمّ عبارته ، حتى ارتفعت دقَّات على باب القاعة المعدنى ، دقَّات قوية تؤكد أن أصحاب الوجوه الزُّرق لن يدَّخروا وُسعًا ، من أجل القضاء على الرجلين ، ورفع (صبرى) سبَّابته مشيرًا إلى الباب المعدنى ، قائلًا :

ـ هذا هو الثمن يا (نور) .

* * *

وجَم (نور) بضع ثوان ، وخيَّم الصمت التامّ داخل القاعة ، على حين ارتفع صوت الدقَّات القوية على الباب المعدنى ، الذى انثنى تحت وطأة هذه الضربات القوية .. وفى حركة سريعة واثقة ، انتزع (نور) مسدسه الليزرىّ من حزامه ، وصوَّبه إلى العدسة صائحًا :

ـ لا بأس من محاولة تأخير التجربة على الأقل .

وأعقب صيحته بدفعة من أشعة الليزر ، أصابت سطح العدسة العملاقة ، وتناثرت فى الهواء حولها ، دون أن تؤثر فيها أدنى أثر ..

عاود (نور) الكرَّة مرة ثانية وثالثة ورابعة ، دون أن تتأثَّر العدسة العملاقة مطلقًا ، وفى يأس استدار (نور) إلى الأجهزة التى تملأ القاعة ، وأخذ يطلق أشعة اللِّيزر عليها ، دون أن يتأثر أحدها أدنى أثر .. وأخيرًا هتف (نور) فى قهر ، وهو يطوِّح مسدسه الليزرىّ بعيدًا :



ــ لا فائدة .. كل شىء هنـا مصنـوع من مادة لا تتأثَّر بأيَّة وسيلة أرضية معروفة .

اخترقت ذراع أحد الزُّرق الباب المعدنى ، مع آخر حروف كلمـات (نور) ، وهتـــف (صبرى) فى جزع :

ــ يا إلهى !! لقد اخترق الفولاذ .. لقد ضعنا .

تلفت (نور) حوله فى توتُّر ، ثم توقَّفت عيناه عند باب صغير فى نهاية القاعة ، ونبض قلبه بنبض الأمل ، وهو يقول :

ــ ربما لم يضع كل شىء بعد .

وأشار إلى الباب الصغير ، هاتفًا :

ــ هذا هو الأمل الأخير .

انطلق الاثنان نحو الباب الصغير ، فى نفس اللحظة التى هوَى فيها الباب المعدنى أمـام الممسوخ الزُّرق ، وتطلَّعت الأعين الدموية فى غضب إلى الهاربَيْن ، وانطلقت الأشعة البنفسجية القاتلة نحوهما تبغى حصادهما .. وكان (نور) يعبُر الباب الصغير خلف (صبرى) ، عندما أصاب الشعاع البنفسجى الأرض بين قدميه ، وأصاب شعاع ثان الباب قرب أنفه تمامًا ، ولكن (نور) دفع (صبرى) أمامه ، وقفز عَبْر الباب الصغير ..

انطلق (صبرى) بأقصى سرعة ، وهو يتأمَّل الجدران الصخرية الخالية من الأضواء ، ويقول مرتجفًا :

ــ يا إلهى !! إلى أين يقودنا هذا الممر ؟

أضاء (نور) مصباحه الصغير ، وهو يقول :

— لو أنهم يتبعون تكنيكـًا واحـدًا فى كل مرة ، فسيقودنا هذا إلى الحرِّية .

غمغم (صبرى) فى دهشة :

— الحرِّية ؟!!

ثم لم يزد حرفًا واحدًا ، وإن استمر فى عَدْوه إلى جوار (نور) ، عَبْر الممر الذى امتدَّ إلى مالا نهاية ..

وفجأة .. التقطت عينـا (صبرى) قبسًا صغيـرًا من الضوء .. ضوء النجوم .. ورقص قلبه طربًا وهـو يتعلَّق بذراع (نور) ، هاتفًا :

— انظر يا (نور) .. ها هو ذا المخرج إلى حيث نجوم السماء .. لقد نجونا يا (نور) .

أجابه (نور) فى اقتضاب :

— ليس بعد يا صديقى .. ليس بعد .

لم تكد تمضى لحظات ، حتى خرج كلاهما إلى هواء الحرِّية ، وصرخ (صبرى) فى سعادة :

— لقد نجونا .. إننى لم أتمتَّع يومًا برؤية النجوم ، كما أتمتع بها هذه الليلة .

تلفَّت (نور) حوله ، وهو يقول :

— إننا فى الجانب الآخر من الجبل ، ولابدَّ لنا من الذهاب إلى حيث تركنا سيارتك الصاروخية على الجانب الآخر .

عادا يعدُوان مرة أخرى حول سطح الجبل ، وأخيرًا توقَّف (صبرى) ، وقال وهو يلهث :

— ها هى ذى .. ها هى ذى .. سيـارتى هنـاك تنتظرنا ، لا يمكنك أن تتصوَّر كم يفرحنى مرآها هذه المرة .

تلفَّت (نور) حوله فى قلق ، ثم قال :

— اسمع يا صديقى ، ستطيع أوامرى حرفيًا ، إننا سنتحرَّك فى خطوات هادئة نحو سيارتك الصاروخية ، ثم هناك بالقرب من تلك الصخرة الكبيرة ، سننطلق فجأة عَدْوًا ونقفز فى السيارة ، ثم نندفع بها بأقصى سرعة بعيدًا عن هنا .

نظر إليه (صبرى) فى دهشة ، وصاح :

ـ ولكن لماذا ؟.. إن الطريق خالٍ من هنا إلى هناك و ....

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ ستنفِّذ الأمر دون مناقشة .. هل تفهمنى ؟

ظهر الغضب على وجه (صبرى) لحظة ، ثم غمغم :

ـ حسنًا يا (نور) ، سأفعل ما تريد .

تحرَّك الاثنان صامتيْن نحو السيارة ، وقبل أن يصلا إلى الصخرة الكبيرة ، همس (نور) :

ـ تذكَّر يا صديقى .. عند الصخرة .. انطلق بأقصى سرعة .

ابتسم (صبرى) وهو يقول :

ـ ها هى ذى على بعد خطوات ، وإن كنت أخالفك الظن فى مسألة الحذر المبالغ فيه هذا .. إننى ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، شق الهواء شعاع من أشعة

الليزر ، واستقر عند أطراف أصابع قدمه اليمنى ، وقبل أن يصرخ دهشةً وفزعًا ، جذبه (نور) فى مبادرة سريعة ، وألقى به خلف الصخرة الكبيرة ، ثم سقط إلى جواره محتميًا بها ، وصاح فى حنق :

ـ كنت أعلم هذا ، ماداموا يتوقَّعون قدومنا ، فلا شك أنهم سيعملون على حراسة السيارة ، حتى لا نستخدمها فى طريق العودة .

غمغم (صبرى) ، وقد اكتسى وجهه بشحوب عجيب :

ـ يا إلهى !! لقد حاصرونا .

ولم يكد يتمّ عبارته حتى ارتفع صوت تألفه أذنا (نور) .. صوت كان ومازال يثير فى نفس (نور) حنانًا دافقًا ، صوت زوجته (سلوى) تقول فى لهجة خشنة حطَّمت نياط قلبه .

ـ إنه أنا يا (نور) .. أعلم أنك لن تقتلنى مهما

فعلت بك ، ولكننى سأعمل على أن يطبق عليك السادة الزُّرق ، أو أقتلك إذا لزم الأمر .

وأعقبت عبارتها بضحكة شيطانية ، لم تكن يومًا ما مما يمكن أن يخرج من حنجرة رقيقة مثل حنجرة (سلوى) .. وعضَّ (نور) شفتيه حزنًا وألمًا ..

وقبل أن ينطق كلمة واحدة انطلق شعاع بنفسجى من نقطة قريبة فى سفح الجبل ، وأصاب الصخرة الكبيرة ، فحوَّلها فى غمضة عين إلى كومة من الرماد ، ووجد (نور) و (صبرى) نفسيهما فى العراء ، وسمعا صوت (محمود) يقول شامتًا :

ــ إنه أنا هذه المرة يا (نور) ، لم تعد هناك فائدة من الفرار .. لقد انتهت المطاردة .

* * *

٨ ــ قانون القتال ..

عجيب هو (نور) هذا ، لقد كان قبل أن يبدأ هذا الصراع شابًّا هادئًا لا يميل إلى العنف والدَّمار ، ولكن أنفه لم يكد يشم رائحة الخطر الذى يواجه كوكب الأرض ، ولم يكد قلبه ينبض بالخوف على ذلك المصير الأزرق الذى ينتظر عالمه ، حتى تلاشى ذلك الهدوء تمامًا ، وانبعثت فى عروق (نور) قوة رهيبة ، وإصرار لا نهاية له ..

تحوَّل الشاب الهادئ إلى كتلة من النشاط والحيويَّة والحركة ، وبرزت إلى السطح كل ملكاته القتالية ، التى انضمت إلى عبقريته العقلية لتصنع مزيجًا أقوى من الصلب ، وغير قابل للكسر أو الصدأ .

لقد وجد (نور) نفسه فى العــراء ، بصحبة الدكتور (صبرى) ، وكلاهما معرَّض للموت ، إما

بأشعة الليزر التى تنطلق من المسدس الذى تمسك به (سلوى) ، أو بتلك الأشعة البنفسجية العجيبة ، التى تحيل كل شىء إلى رماد ، والتى يصوِّبها إليهما (محمود) من المربع الشفَّاف الذى يمسك به ..

كان من المؤلم على نفس (نور) أن يضطر يومًا لمواجهة زوجته ، وأعز رفاقه ، على هذا النحو العدوانى ، ولكنه كان قد توقَّف عن التفكير فى هذا الأمر ، منذ تأكَّد من سيطرة الغزاة العقلية على زوجته ورفاقه ، والدكتور (حجازى) .. أصبح الآنَ يواجه الموقف بكثير من الواقعية والحزم ، لقد أهمل تمامًا كون خصميه رفيقين سابقين ، وبدأ يعاملهما على أنهما مجرَّد خصمين فقط .. وكان عليه أن ينتصر طبقًا لقانون القتال ، ومن أجل كوكب الأرض ..

حسم عقل (نور) الأمر كله فى جزء من الثانية ، فوجد أن أشعة اللِّيزر يمكنها أن تخترق جسده ، أو جسد (صبرى) ، ولكنها لن تقتلهما ما لم تصب منهما

مقتلًا .. أما تلك الأشعة البنفسجية ، فستحيلهما إلى رماد لو أنها مسَّتهما فقط ، وهكذا .. لا يحتاج الأمر لكثير من التفكير ، لابدَّ من اتقاء شر (محمود) أولًا ..

وفى حركة سريعة مدروسة ، التقط (نور) حجرًا صغيرًا من الأرض ، وألقاه فى دقَّة وإحكام نحو (محمود) وشهق الدكتور (صبرى) فى انفعال ، حينما رأى الحجر يصيب هدفه بدقَّة بالغة ، ويُطيح بالمربَّع الصغير الشفَّاف ، الذى يطلق منه (محمود) الأشعة البنفسجية القاتلة ، على بعد أمتار قليلة منهما .

تأوَّه (محمود) ألمًا حينما أصاب الحجر يده ، وتحرَّك بسرعة ، محاولًا التقاط مربع الأشعة الذى أفلت من بين أصابعه ، ولكن (نور) اندفع نحوه كالصاروخ ، وهو يهتف :

ــ ابتعد يا (صبرى) .. احتمِ بأى مكان .

انطلق (صبرى) يعدُو مبتعدًا بلا هدف ، وسمع (سلوى) تصرخ غضبًا ، ولكنه لم يتوقَّف ، أو يلتفت

خلفه لمعرفة ماحدث ، وحتى دون أن يفعل ، تناثر الحصى والأحجار من حوله ، بعد أن أصابتها دفعات متتالية غاضبة من أشعة اللّيزر .. وفى نفس الوقت كان (نور) ينقضّ على (محمود) ، ويركل مرة ثانية المربع الشفّاف الذى نجح فى التقاطه .. فزمجر (محمود) فى غضب ، وانقضّ على (نور) ، الذى عاجله بثلاث لكمات متتالية قوية بين عينيه ، سقط على إثرها (محمود) فاقد الوعى ..

وبسرعة التقط (نور) المربع الشفّاف ، ودسّه فى حزامه ، ثم التصق بالجدار الصخرى للجبل ، وهو يعلم أن (سلوى) لن يمكنها رؤيته ، أو إصابته فى هذا المكان ، وتأمّل لحظة رفيقه الدكتور (صبرى) ، وهو يتقافز هنا وهناك ، فى محاولة للإفلات من سيل الليزر ، الذى ينهمر حوله من مسدس (سلوى) ..

وفجأة .. انطلق (نور) فى العراء ، نحو السيارة الصاروخية المملوكة للدكتور (صبرى) .. ولم تكد

(سلوى) تراه ، حتى توقّفت عن إطلاق دفعات الأشعة نحو (صبرى) ، وبدأت فى إطلاقها على زوجها ..

أقوياء هم هؤلاء الغزاة الزُّرق ، فلابدّ من قوة خارقة ، وسيطرة لا حدود لها ، حتى يمكنك إقناع زوجة بإطلاق النار على زوج تحبه ، وتخشى عليه من أقل ألم وخطورة .. ولكن عقل (سلوى) لم يكن هو صاحب الأوامر القتالية لجسدها ، وإنما كانت عقول الزُّرق هى التى تعمل .. الزُّرق الذين قرّروا التخلُّص من (نور) ، مهما كان الثمن ..

ولكن (نور) و (صبرى) ، تحرّكا فى سرعة مناسبة وتوافق كامل ، كما لو أنهما يعملان معًا منذ نعومة أظفارهما ، فقد تحرّك كلاهما نحو السيارة الصاروخية فى آن واحد ، كما لو كانا قد تلقّيا أمرًا خفيًّا بذلك ، بل والأعجب أنهما وصلاها فى لحظة واحدة ، وقفزا داخلها دفعة واحدة ، برغم خيوط اللّيزر التى تطلقها

(سلوى) فى غضب وكراهيــة .. وانطلــق المحرك الصاروخى ، وأطلقت (سلوى) صرخة أسف وقهر ، حينما اندفعت السيارة الصاروخية أمام عينيها ، وتجاوزت وادى الرعب فى طريقها إلى الحرِّية ..

* * *

لم تكد السيارة الصاروخية التى يقودها (نور) تعبُر وادى الرعب ، حتى هتف الدكتور (صبرى) ، وهو يتنفس فى عمق وانفعال :

ــ ياإلهى !! لقد نجونا حقًّا هذه المرة ، نجونا حقًّا يا (نور) .

ولدهشته البالغة ، هدَّأ (نور) من سرعة السيارة ، وانحرف بها جانبًا ، ثم أوقفها إلى جوار قاعدة جبل متوسط الارتفاع ، فى طريق الصعيد ، المعدّ خصيصًا للسيارات الصاروخية ، فصاح الدكتور (صبرى) :

ــ ماذا بك ؟.. لا يمكننا أن نتوقَّف هنا ، على بعد خمسين كيلو مترًا أوأقل قليلًا من مركز هؤلاء الوحوش الزُّرق .. ماذا لو أنهم طاردونا و .... ؟

قاطعه (نور) وهو يسأله فى اهتمام ، متجاهلًا ملاحظاته الخائفة :

ــ هل رأيت ذلك المشروع الذى يعدُّونه ؟.. مشروع السَّماء المظلمة إلى الأبد ؟!

أومأ الدكتور (صبرى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إنه أمر خطير للغاية ، إن الإنسان لا يمكنه التخلِّى عن ضوء الشمس ، كما أن المعادن التى يستخدمها هؤلاء الغزاة شديدة القوة والصلابة ، إلى حدٍّ قد تعجز معه قوى الأرض عن منع عملية السَّماء المظلمة .. مالم ....

بتر الدكتور (صبرى) عبارته ، وهزَّ رأسه ، وكأنه يجد صعوبة فيما يفكِّر فيه ، ولكن (نور) استحثه على مواصلة الحديث ، قائلًا :

ــ ما لَمْ ماذا ؟.. ما الوسيلة لمنع هذا يا دكتور (صبرى) ؟

مطَّ الدكتور (صبرى) شفتيه ، وهزَّ رأسه فى حَيْرة وتوتُّر بعض الوقت ، ثم غمغم فى توتُّر :

ـ مالَمْ تفشل عملية إطلاق القمر الصناعى ، الذى يحمل هذه العدسة العملاقة .

عقد (نور) حاجبيه ، وصمت لحظة مفكّرًا ، ثم كرَّر العبارة فى تفكير وشرود :

ـ ما لَمْ تفشل عملية الإطلاق ؟

ثم تألَّقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يقول :

ـ قُد السيارة إلى منزلك يا صديقى ، واعكف على دراسة كل ما يتعلَّق بهؤلاء الغزاة ، وابحث عن المجموعة الشمسية التى أتوا منها على الأقل ، وتذكَّر أن كوكبهم يقترب من الفناء على الأرجح ، ما لم يكن هذا هو المصير الحتمى لمجموعتهم الشمسية كلها ، ابحث كل هذا بمنتهى الدِّقة حتى أعود .

هتف الدكتور (صبرى) ، وكل خلجة من خلجاته تعبِّر عن الدهشة البالغة :

ـ تعود ؟!!.. من أين تعود ؟

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ لابدَّ من تدمير مشروع السماء المظلمة هذا يا صديقى ، ولابدَّ أن يبقى واحد منَّا ، لديه كل المعلومات عن الغزاة الزُّرق ، وأعتقد أنك تمتلك الفرصة الكبرى للبقاء ، فهم لا يطاردونك ، ولا الشُّرطة تفعل .

صاح (صبرى) فى حزن :

ـ كلَّا يا (نور) .. سنذهب معًا أو ....

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ دع العواطف جانبًا يا (صبرى) ، إننا نسعى من أجل إنقاذ كوكب بأكمله ، وقضيتنا الأولى هى أن نوصِّل خبر الغزو إلى من يهمهم الأمر ، وهذا يقتضى وجود أحدنا على قيد الحياة ، هذا هو قانون القتال يا صديقى .

تألَّقت دمعة حزينة فى عينى الدكتور (صبرى) ، فابتسم (نور) وهو يربِّت على كتفه قائلًا :

ـــ انطلق يا صديقى على بركة الله .

وأعقب قوله بالقفز خارج السيارة ، وحافظ على ابتسامته الهادئة ، حتى احتل (صبرى) مقعد القيادة ، وأدار المحرِّك ، ثم التفت إلى (نور) ، وغمغم فى صوت متحشرج :

ـــ سأنتظرك يا (نور) ، سأسهر طويلا لإعداد الدراسات اللازمة ، و ....

قاطعه (نور) :

ـــ على بركة الله يا صديقى .

وبلا كلمة إضافية ، انطلق (صبرى) بالسيارة الصاروخية مبتعدًا ، وتلاشت الابتسامة من شفتى (نور) ، وهو يغمغم فى أسًى :

ـــ نعم يا صديقى .. هذا هو قانون القتال .

* * *

٩ ـــ اجتماع للقتل ..

فى غرفة صغيرة داخل مركز قيادة المسوخ الزُّرق ، وحول مائدة مستديرة ، التفَّ ثلاثة أفراد ، لا تعلو وجه أحدهم أيَّة زُرقة ، وأمامهم فوق المائدة استقر جهاز صغير ، فى حجم عقب السيجارة ..

كان هؤلاء الثلاثة هم أصدق أصدقاء (نور) فيما مضى ، كان كل منهم مستعدًّا للتضحية بحياته من أجله يومًا .. أما الآن ، وبعد أن سيطر الغزاة الزُّرق على عقولهم ، فقد تحوَّلت صداقتهم إلى كراهية وبغض ، وكان اجتماعهم هذا أكبر دليل على ذلك الخلل ، الذى أصاب عقولهم .. فقد كان هدف اجتماعهم الوحيد هو القتل .. قتل زميلهم السابق (نور) ..

كانت (سلوى) تقول بشرود ، وهى تشير إلى الجهاز الصغير :

ــ لقد انتهيت من صنع هذا الجهاز الدِّفاعى ، لن يتمكَّن الرائد (نور) من استغلال الأصوات المرتفعة مرة أخرى .

قال (محمود) :

ــ سيسعد هذا سادتنا الزُّرق .

تابعت (سلوى) وكأنها لم تسمعه :

ــ سيضعون هذه الأجهزة الصغيرة فى آذانهم ، وستعمل على إضعاف الأصوات القوية إلى العشر تقريبًا ، كما أنها ستمنع تمامًا الموجات فوق الصوتية .

عاد (محمود) يكرِّر :

ــ هذا من أجل السَّادة .

ثم التفت إلى (رمزى) ، وسأله :

ــ هل توصَّلت إلى مكان (نور) ؟

أجابه (رمزى) بإيماءة من رأسه تعنى الإيجاب ، ثم ابتسم فى فخر وهو يقول :

ــ لقد استخدمت أسلوب (نور) نفسه للعثور

عليه ، فقد سمعته (سلوى) ينادى رفيقه باسم (صبرى) ، وعلى الفور بحثت كل ما يتعلَّق بالرائد (نور) منذ حداثته ، ووجدت له ثلاثة أصدقاء ، يحملون هذا الاسم ، أحدهم يعمل فى سلك الشُّرطة مثله ، والثانى ملَّاح من ملاحى الفضاء ، أما الثالث فهو عالم فلكى ، وهذا هو مايحتاج إليه (نور) .

ابتسم الثلاثة فى فخر ، وغمغم (محمود) و (سلوى) :

ــ هذا عظيم ..

عاد (رمزى) يتابع حديثه ، قائلًا :

ــ وعن طريق رقم السيارة الصاروخية التى هربا فيها ، تمكَّنت من معرفة عنوان منزل الدكتور (صبرى) ، ولست أشك فى أن (نور) سيكون هناك .

قال (محمود) :

ــ هل نبلغ الشُّرطة ، ونترك لها مهمة التخلُّص منه؟

قالت (سلوى) :

ــ الإجراءات طويلة ومعقَّدة ، كما أنه قد يثرثر كثيرًا ، ويكشف أمورًا لا ينبغى رفع الغطاء عنها .

عاد (محمود) يقول :

ــ هل يتخلَّص منه أحد السَّادة الزُّرق ؟

قال (رمزى) فى صرامة :

ــ بل ستفعل أنت يا (محمود) .

لم يبد على وجه (محمود) أى انفعال جديد ، كما لو كان يتلقَّى أمرًا روتينيًّا ، وتناول المربع الشفَّاف بهدوء من يد (رمزى) ، الذى تابع قائلًا :

ــ أنت المسئول عن مصرع الرائد (نور) قبل مطلع الشمس يا (محمود) .. من أجل سادتنا الزُّرق .

★ ★ ★

اقترب (نور) فى حذر من المدخل الخلفى لمركز الغزاة ، وتأمَّل الكهف الصغير فى حذر واهتمام ، ثم

أسرع يضع منظاره الأحمر على عينيه ، ويتأمَّل جدران الكهف بعين فاحصة خبيرة ، ثم لم يلبث أن غمغم فى تساؤل :

ــ عجبًا .. إنه يبدو كما لو كان خاليًا من وسائل الأمن تمامًا .

عاد يفحص المكان فى مزيد من الاهتمام والحذر ، حتى أزهقه الأمر ، فهزَّ كتفيه وقال وهو يخطو داخله :

ــ فليكن ما يكون ، لن أدع الحَيْرة تعُوقنى عمَّا أريد .

وقبل أن يضع قدمه أرضًا ، التقطت عينه ذلك الشيء .. كانت الأحجار الصغيرة المتناثرة على مسافة متر تقريبًا ، أكثر بريقًا من غيرها .. كانت تعكس المزيد من ضوء النجوم ..

وتنهَّد (نور) فى ارتياح ، ثم أعاد قدمه إلى مكانها الأول ، وانحنى يفحص هذا الحصىّ الزائف ، ثم لم يلبث أن ابتسم وهو يحدِّث نفسه ، قائلًا :

ـ يالها من وسيلة شيطانية !! إن تلك المستقبلات الصغيرة تبدو كالحصى تمامًا ، لا يمكـن تفريقهـا عن الحقيقة ببساطة ، وهى لن تلفت انتباه أحد .. ولكنه ما إن يزداد الضغط الواقع على أى منها بمقدار محسوب ، حتى ترسل إنذارها إلى داخل المركز ، وكانت ستعمل بالتأكيد حينما أطؤها بقدمىّ .

مدَّ بصره إلى الداخل ، مستعينًا بمصباحه الصغير ، فرأى تلك الحصاة الزائفة تمتد مترًا واحدًا ، فعبره بقفزة واحدة ، وانتظر لحظة ليطمئن إلى عدم وجود أجهزة أمن أو كشف جديدة ، ثم تحرَّك فى خفة وسرعة نحو القاعة الضخمة فى نهاية الكهف ، والتى تحوى تلك العدسة العملاقة ، قلب مشروع السماء المظلمة .

* * *

أخـرج الدكتـور (صبرى) مراجعـه الكونيـة ، وجلس يتصفَّحها فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن نهض إلى جهاز الكمبيوتر الصغير فى طرف حجرة مكتبه ، وبدأ

يداعب بعض أزراره ، ويتابع الكلمات التى تتراص على شاشته ، وهو يقول لنفسه :

ـ نحن نحتاج للبحث عن كوكب يبلغ حجمه ثلاثة أرباع حجم الأرض تقريبًا ، يسبح فى مجموعة شمسية قاربت الفناء ، ويحتل منها الموقع الأول أو الثانى على الأكثر بعيدًا عن الشمس ، وشمسه نفسها خافتة فى طريقها إلى أن تخبو تمامًا ، له غلاف جوّى يشبه غلافنا الأرضّى ، مع استثناء زيادة كمية ثانى أكسيد الكربون هناك ، وتبلغ كثافة الهواء حدًّا يقل معه انتقال الموجات الصوتية .

كان يدوِّن كل هذه المعلومات على شاشة الكمبيوتر وهو ينطق بها ، ولم يكد ينتهى حتى ضغط زرًّا أحمر اللون فى طرف الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـ والآن ماذا لدينا ؟

تابع ببصرُه تلك الأرقام والأسماء التى تراصت على شاشة الكمبيوتر ، ثم عقد حاجبيه ، وقال :

ـ لدينا ألفان وسبعة عشر كوكبًا ، تحمـل هذه

الصفات ، فى أرجاء الكون المختلفة .. ياله من عدد كبير !! لابدَّ لنا من اختصاره كثيرًا .

عاد يفكِّر فى اهتمام ، محاولًا استعادة كل ما مرَّ به من تفاصيل ، بحثًا عن صفة جديدة تضاف إلى صفات الكوكب المطلوب ، إلى أن هتف فجأة :

ـ تذكَّرت .. هذا الكوكب حارٌّ ولا شك ، برغم خفوت شمسه ، ربما بسبب براكين داخلية ، أو ما يشبه ذلك ، وإلَّا فما اختار هؤلاء الغزاة صحراء الصعيد لبناء وكرهم .

أسرع يضيف هذه المعلومات الجديدة إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم ضغط الزِّر الأحمر ، ووقف يراقب تتابع الأرقام والأسماء على شاشته فى لهفة ، وهتف فى سعادة :

ـ حسنًا .. هذا عظيم ، لقد اختصرنا العدد إلى تسعمائة وستة وثلاثين كوكبًا فقط .. لقد اقتربنا كثيرًا .

عاد يفكِّر ويتذكَّر فى اهتمام ، ويدور فى أنحاء الحجرة

جيئة وذهابًا ، ثم تهلَّلت أساريره ، وأسرع نحو جهاز الكمبيوتر ، قائلًا :

ـ يا لى من غبىّ !! ذلك الضوء الأزرق الذى يوهموننا به ، يؤكد أن ضوء شمسهم حينما يَعْبُر غلافهم الجوىّ يبعث ضوءًا أزرق اللون ، هذا يختصر الأمر كثيرًا .

انتقلت هذه المعلومة من رأسه إلى شاشة الكمبيوتر ، عَبْر أزراره العديدة ، وجاء تتابع الأرقام والأسماء سريعًا هذه المرة ، وصاح (صبرى) فى سعادة رجل وجد نفسه قاب قوسين أو أدنى من حل لغز عميق :

ـ ثلاثة عشر كوكبًا فقط .. يا له من انتصار !!

ثم أسرعت يده إلى أزرار الكمبيوتر ، وهو يقول فى حماس وانفعال :

ـ فلنقارن هذه الأسماء الثلاثة عشر ، بالمسافات التى يبعدها كل كوكب منها عن الأرض ، ولنستبعد كل ما يبعد أكثر من ألفى سنة ضوئية .

أجاب الكمبيوتر بسرعة على السؤال ، وتراص اسمان فقط على شاشته ، وشعر الدكتور (صبرى) بقلبه ينبض فى عنف ، وهو يقول منفعلًا :

— واحد منهما هو الكوكب المطلوب ، واحد منهما .. لقد توصّلت إليه .. يا إلهى !! وفجأة .. تناهى إلى مسامعه صوت خافت يأتى من خلفه ، فاستدار بحركة حادّة إلى مصدر الصوت .. ولم يكد بصره يقع على هذا المصدر ، حتى بدت منه حركة أشد حدةً ، جعلته يرتطم بجهاز الكمبيوتر ، ويسقطه أرضًا ، ويحطّم شاشته ، ورفع كفّه أمام وجهه وهو يصرخ فى رعب :

— لا .. لا .. ليس الآن ..

وانطلقت الأشعة البنفسجية القاتلة .

* * *

١٠ — فلتبق شمسنا مضيئة ..

وصل (نور) بخطواته الحذرة إلى مشارف القاعة الواسعة ، وتفحّصها فى حذر وصمت ، ورآها خالية ، إلّا من العدسة العملاقة ، والأجهزة العديدة التى تملأ القاعة ، وبعد لحظات من المراقبة ، بدأ (نور) يتسلّل إلى القاعة على أطراف أصابعه ..

تأمّل المكان مرة ثانية ، ثم وقف فى مواجهة العدسة العملاقة ، وآلات الدفع المثبّتة حولها ، وغمغم :

— لن تنطلق هذه الجريمة وأنا حىّ ، لن يطفئ أحد شمسنا أبدًا ، ستبقى مضيئة ، تبعث فى أجسادنا الدفء والنشاط ، حتى يأذن الخالق (عزّ وجلّ) .

عاد يلتفت إلى الآلات العديدة ، وتأمّلها واحدة بعد الأخرى ، ثم تقدّم من أولها ، وعبث بأزراره قليلًا ، وبدأ يدير أجزاءها ويحل واجهتها فى سرعة وحنكة ، ولم

يكد يكشف أسلاكها حتى أخذ ينزع كلًّا منها ، ويثبّته فى مكان مخالف لطبيعته ، ثم انتزع دوائر السليكون الصغيرة ، ودسَّها فى جيب سترته ، وهو يقول :

ـــ سأستعيدها حتى أجد وسيلة لتحطيمها أيها الغزاة .

انتهى (نور) من هذه الآلة ، فانتقل إلى الثانية ، واستمر يعمل بلا كلل ، حتى امتلأت جيوب سترته بدوائر السليكون المطبوعة ، التى لا يزيد حجم الواحدة منها على حجم قرش صغير ، وتوقَّف يدير البصر حوله ، وهو يلهث من المجهود العنيف الذى بذله .. وأخيرًا قال فى ضيق :

ـــ كل هذا يمكن تعويضه فى أيَّام قليلة ، بل لن يزيد ذلك على يوم وبعض يوم ، يا إلهى !!

كان يطمح إلى تحطيم مشروع السماء المظلمة من أساسه ، لا إلى مجرَّد تعطيله ليوم أو يومين ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يفعل أفضل مما فعل ، فاستدار نحو

الباب فى ضيق .. وفجأة .. تسمَّر فى مكانه ، وبرقت عيناه ببريق عجيب ، وهتف :

ـــ يا إلهى !! إنَّ تحطيمها ممكن للغاية ، لقد كانت وسيلة تحطيمها فى يدى طول الوقت ، ولكننى لم أنتبه إليها .. لقد توصَّلت إلى وسيلة منع مشروع (السماء المظلمة) .

* * *

فى نفس هذا الوقت ، وفى القاعة الأخرى ، حيث تراصَّت على الحائط شاشات رصد لا حصر لها ، وقف عدد من الغزاة الزُّرق ، يراقبون ما يفعله (نور) فى اهتمام بالغ ، كما يفعل العلماء مع حيوانات التجارب .. كانوا قد شاهدوه يدخل إلى القاعة الكبيرة ، التى تحوى العدسة العملاقة ، ولكنهم لم يتدخَّلوا لمنعه فى حينه ، بل ظلوا يراقبونه لكشف مدى ما يتمتع به من ذكاء ، طالما كان ما يفعله ليس ضارًّا إلى الحدّ الذى يمنعهم من إتمام مشروعهم ..

رأوه ينزع دوائر السليكون المطبوعة ، ويبدل وضع الأسلاك ، ولكن هذا لم يكن ليعوق عملهم ، حيث كانوا يعلمون أن إعادة كل شىء إلى موضعه لن يستغرق أكثر من بضع ساعات ، ولكن كل ما يهمهم هو معرفة درجة ذكاء (نور) .. فقد حيَّرهم كثيرًا ، فشلّهم عن السيطرة على عقله ، وكان الحفاظ عليه حيًّا فى هذه اللحظة أكثر أهمية لهم من قتله ، خاصة بعد أن كشفوا روح الإصرار والعناد العظيمة التى يتحلّى بها ، بعد أن عاد بقدميه إلى وكرهم للمرة الثالثة من أجل تحطيم مشروعهم .

ازداد اهتمامهم بمراقبته ، وتضاعفت حَيْرتهم ، حينما أخذ (نور) يعيد الأسلاك إلى أوضاعها الصحيحة ، ويعيد دوائر السليكون إلى مواضعها الأصلية ، واستغرق منه هذا وقتًا طويلًا ، وجهدًا شاقًّا ، جعلهم يزدادون اهتمامًا بمعرفة ما يسعى إليه ..

وأخيرًا .. وقف (نور) يتأمّل العدسة العملاقة ،

وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة أثارت المزيد من حَيْرتهم ، إذ كانت تموج بالثقة ..

وأخيرًا .. انتحى (نور) ركنًا عجزوا فيه عن مراقبته بوضوح ، ولكنهم لاحظوا أنه يفعل شيئًا ما بالإطار الخارجى للعدسة العملاقة ، فالتقت نظراتهم ، واتفقت على شىء واحد .. إن فترة دراسة الخصم قد انتهت ، ولم يعد هناك ما يمنع قتله ، وبكلمات عجيبة ، هى مزيج من الهمهمة والدمدمة ، أصدروا الأمر بذلك .

* * *

انتهى (نور) من عمله ، ومسح العرق الغزير المتصبِّب على جبينه ، وتأمَّل نتاج عمله فى سعادة ، ثم غمغم :

ــ أطلقوا الآن مشروعكم أيها الأوغاد ، وستظل شمسنا مشرقة .

لم يكد يتمّ عبارته حتى فُتِح باب القاعة فى حِدَّة ،

وظهر على عتبته (رمزى) و (سلوى) ، وتطلَّع إليهما (نور) فى مزيج عجيب من اللهفة والحزن والقلق ، وظلَّ صامتًا هادئًا ، على حين ابتسمت (سلوى) فى شماتة ، وقالت وهى تصوِّب إليه مسدسها :

ـــ إنها نهاية المطاف يا (نور) .

شعر (نور) بخنجر من الحزن يمزِّق نياط قلبه ، وهو يتأمَّل فى وجه زوجته فى أسف ، وجاء صوته مفعمًا بالانفعالات ، وهو يقول :

ـــ أفيقى يا (سلوى) .. إنك تحطِّمين بنى جنسك .

شردت عيناها ، وبدت وكأنها تقاوم شيئًا ما فى أعماقها ، وهى تقول فى لهجة متردِّدة :

ـــ الولاء للسَّادة الزُّرق .

بعث هذا التردُّد أملًا جديدًا فى أعماق (نور) ، فهتف :

ـــ كلَّا يا عزيزتى .. كلَّا .. الولاء للأرض فقط .. قاومى سيطرة هؤلاء الغزاة الزُّرق .

صاح (رمزى) ، وكأنه يحطِّم محاولة (نور) :

ـــ كفى أيها الرائد ، لقد فشلت ، وهذا يكفى .

نقل (نور) بصره إليه فى أسف ، وسمعه يتابع قائلًا :

ـــ ستشاهد علامات فشلك بعينيك قبل أن تلقى مصرعك يا (نور) .. سنبدأ فى الحال إطلاق العدسة العملاقة .. سيبدأ فى هذه اللحظة مشروع (السَّماء المظلمة)

* * *

وقف (نور) صامتًا ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، يراقب الرجال الزُّرق الذين انتشروا فى القاعة ، حول أجهزة الإطلاق ، يفحصونها فى اهتمام وبطء ، على حين التصق مسدسا (سلوى) ، و (رمزى) بجانبه ، وقال (رمزى) وهو يراقب ملامح (نور) :

ـــ أشكرك كثيرًا أيها الرائد ، فلولا إعادتك كل شيء إلى مكانه ، ما أطلقنا المشروع هذه الليلة ، وكنا سنضطر لتأجيله إلى الغد .

غمغم (نور) فى سخرية مريرة :

ـــ كنتم ؟!.. هل سيطروا على عقولكم إلى هذا الحدّ ؟

قالت (سلوى) فى صرامة :

ـــ نحن نطيع سادتنا الزُّرق .

تطّلع إليها (نور) فى أسًى وألم .. كان يتمنّى أن يمسح شعرها بيده ، أو يربّت على وجنتيها فى حنان .. كان يؤلمه أن زوجته تحوّلت تحت سيطرة هؤلاء الزُّرق إلى عدوّ يتمنّى له الموت ، ويسعى إليه فى إصرار .. كان هذا يزيد من حنقه وحقده ، وكراهيته لهؤلاء الغزاة ، ورغبته العارمة فى تحطيمهم وهزيمتهم ..

انقطعت أفكار (نور) حينما ضغط أحد الغزاة الزُّرق على زرٍّ صغير ، فسرى فى القاعة صوت خافت ،

ورفع (نور) عينيه إلى سقف القاعة فى دهشة ، فقد كان السقف ينشق إلى نصفين ، وتبدو من فوقه السماء بنجومها اللامعة ، ووجد (نور) نفسه يهتف :

ـــ يا إلهى !! لقد شقوا الجبل ـ

ابتسمت (سلوى) فى سخرية ، وقالت :

ـــ عباقرة هم سادتنا الزُّرق .

وقال (رمزى) :

ـــ ستشاهد الآن بعينيك عملية الإطلاق .

ابتسم (نور) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـــ هل سننتقل إلى حجرة أخرى ؟

ضحك (رمزى) فى تهكُّم ، وقال :

ـــ إنهم لا يستخدمون الوقود نفسه الذى نستخدمه ، فوقودهم لا يبعث نارًا أو دخانًا ، إنه وقود بارد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى فضول :

ـــ وقود بارد ؟!

وبدلًا من أن يفسِّر له (رمزى) الأمر ، أشار بيده إلى العدسة العملاقة ، وقال :

ــ استعد أيها الرائد ، سيبدأ الإطلاق على الفور .

بدا الترقُّب والاهتمام علَى وجه (نور) ، وهو يراقب العدسة العملاقة بإطارها المعدنى الأزرق ، وهى ترتفع عن الأرض رويدًا رويدًا ، فى بطء وهدوء ، نحو الفتحة الضخمة فى سقف القاعة .

كانت عملية غزو الأرض قد بدأت ، واستعد الجميع لبداية ظلام لا ينتهى على كوكب الأرض تحت (السماء المظلمة) .

★ ★ ★

١١ ــ منهم وإليهم ..

ارتفعت العدسة العملاقة فى هدوء إلى السقف المفتوح ، ولم تكد ترتفع عنه بضعة سنتيمترات ، حتى تأرجحت فجأة فى قوة ، ثم تألَّق إطارها المعدنى فى شدة ، ثم تلاشى فجأة أمام عيون الجميع ، وتحوَّل إلى رماد تناثر فى الهواء ، وسقطت العدسة العملاقة من أعلى ، وارتطمت بالأرض وسط القاعة الواسعة ، وتحطَّمت فى دوىّ هائل ، وتناثرت أجزاؤها فى كل مكان ..

تحرَّك (نور) فى اللحظة نفسها ، وكأنما كان ينتظر هذا الحدث المفاجئ ، فدار على عقبيه ، ووجَّه إلى فكِّ (رمزى) لكمة قوية ألقته بعيدًا ، وأفقدته الوعى ، ثم استدار فى سرعة مذهلة ، وانتزع المسدس الليزرىّ من يد (سلوى) ، وجذبها من معصمها فى قوة ، وانطلق



وانتزع المسدس الليزرىّ من يد (سلوى) ، وجذبها من معصمها فى قوة ، وانطلق يعدُو وهو يجرُّها خلفه نحو باب القاعة ..

يعدُو وهو يجرُّها خلفه نحو باب القاعة ، الذى يقود إلى الخارج ، قبل أن يفيق الجميع من المفاجأة .

قاومته (سلوى) فى قوَّة ، وأخذت تركله وتلطمه ، وهو يتحمَّل ضرباتها وركلاتها ، محاولًا إنقاذها مما تتردَّى فيه .. ولمَّا لم يجد مناصًا ، استدار إليها ولكمها لكمة قوية أفقدتها الوعى ، ثم حملها وانطلق يعدُو بها إلى الخارج ..

كان حمله يعوقه ، ولكن إصراره ، ورغبته الشديدة فى إنقاذ زوجته ، عاوناه على مواصلة الفرار ، حتى وجد نفسه خارج الكهف ، ورأى النجوم تتألَّق فى السماء .

وفجأة .. استعادت (سلوى) وعيها ، ومعه تحوَّلت إلى كتلة من العنف والشراسة ، فتعلَّقت برقبته ، وأخذت تصرخ فى جنون وتحاول فقء عينيه ، وتمزيق جلد وجهه بأظفارها .

وعلى الرغم منه أفلتت (سلوى) ، ورآها تجرى

بكل ماتملك من قوة ، عائدة إلى داخل الكهف ، فصاح فى لوعة وأسًى :

ــ (سلوى) ..

وهمَّ باللّحاق بها ، ولكنه توقَّف ، وانتصر عقله وواجبه مرة أخرى على عواطفه ، إذ وجد أن فرصة إنقاذ زوجته من هذه السيطرة العقلية ترتفع ، إذا ما حرص على البقاء حيًّا ، أما إذا تبعها إلى داخل الكهف ، فسيعنى هذا مصرعه ، وضياع كل أمل فى إنقاذ زوجته ورفاقه ، وكوكب الأرض بأكمله ..

حسم (نور) أمره بسرعة ، فأدار ظهره إلى مدخل الكهف ، وانطلق يعدُو محاولًا الابتعاد عن الوادى الملعون ، وعن هذا الموت الأزرق ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا ، حينما انطلق المهندس (مجدى) بسيارته الصاروخية ، فى طريقه من (قنا) إلى (القاهرة) ،

وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغَّمًا ، وتعلَّق بصره بالطريق الذى تطويه سيارته بسرعة خرافية ، إلى أن لمح ذلك الشاب الذى يلوِّح بيديه على قارعة الطريق ..

توقَّف المهندس (مجدى) إلى جوار الشاب ، وسأله محاولًا تبيُّن ملامحه فى ضوء الطريق الخافت

ــ ما الذى أتى بك إلى هذا الطريق ؟.. إنه غير مخصص للمشاة .

أجابه الشاب الذى لم يكن سوى (نور) :

ــ لقد تحطَّمت سيارتى فى حادث مؤسف ، هل يمكنك أن تحملنى إلى القاهرة ؟

أشار إليه المهندس (مجدى) ، قائلًا فى شهامة :

ــ بكل سرور يا سيِّدى ، هلُمَّ بنا .

دار (نور) حول مقدمة السيارة ، واندسّ فى المقعد المجاور للمهندس (مجدى) ، وهو يقول :

ــ شكرًا لك .. إنك تعاوننى كثيرًا ..

لم يكد (نور) يستقر داخل السيارة ، حتى وقع

الضوء على وجهه ؛ واتسعت عينا المهندس (مجدى) ذعرًا ، وهو يقول :

— يا إلهى !! إنه أنت .. لقد رأيت وجهك على شاشات الهولوفيزيون .. إنك ....

وقبل أن يتم عبارته ، ارتفعت فوّهة مسدس (نور) الليزرىّ فى وجهه ، وسمعه المهندس يقول فى أسف :

— ربما تفهم الأمر خطأ يا سيِّدى ، ولكننى مضطر للذهاب إلى القاهرة ، ولست أملك وسيلة مواصلات مناسبة .

أدار المهندس (مجدى) محرِّكات سيارته الصاروخية بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

— إنك لن تؤذينى .. أليس كذلك ؟

ابتسم (نور) فى حزن وأسًى ، وقال :

— لن تصدِّقنى بالتأكيد يا سيِّدى ، ولكن الأذى هو آخر ما أفكِّر فيه ، وإننى أضع حياتى على كفِّى فى سبيل إنقاذكم جميعًا .. ولقد نجحت اليوم فى

أول مراحل هذا الإنقاذ .. ولن تجبرنى قوة فى الأرض على التراجع ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الرابعة وخمس وأربعين دقيقة صباحًا ، حينما أخذ (نور) يصعد فى درجات سُلَّم منزل الدكتور (صبرى) فى إرهاق ، وأخذ عقله يستعيد كل ما حدث فى تلك الليلة ، التى بدت طويلة كأن لا نهاية لها ..

تذكَّر كيف توصَّل إلى أسلوب تحطيم مشروع (السماء المظلمة) ، عندما عثر فى جيب سترته على المربع الشفَّاف ، الذى يطلق الأشعة البنفسجية القاتلة ، والذى التقطه بعد صراعه مع (محمود) فى وادى الرعب .. لقد فهم لحظتها أن السلاح الوحيد القادر على تحطيم ما يصنعه الغزاة ، هو السلاح الذى صنعوه بأنفسهم ، ولكنه كان يعلم أن هذا المربع الصغير لن يكفى لتدمير العدسة العملاقة بأكملها ، إلا إذا ....

وعند هذه النقطة ، أعاد (نور) كل الأسلاك إلى مواضعها الأولى ، وثبَّت دوائر السليكون فى أماكنها السليمة ، وهو يحرص على أن تنطلق العدسة العملاقة على النحو الصحيح ..

وفى الوقت نفسه أوصل المربع الشفَّاف بأجهزة الدفع ، فى إطار العدسة العملاقة ، حتى تقوى الأشعة إلى الحدِّ الذى يدمِّر الإطار تمامًا ..

بعد هذا يأتى دور الجاذبية الأرضية ، التى تفُوق مثيلتها بالنسبة لكوكب الغزاة ، والتى ستجذب العدسة فى قوة بعد أن يتلاشى الإطار ، وهو يعلم بحكم دراسته العلمية ، أن ارتطام العدسة بالأرض سيحطمها تمامًا مهما بلغت قوتها ..

تنهَّد فى عمق وهو يستعيد تلك الذكريات ، وشعر ببعض الراحة فى أعماقه ، لانتصاره فى هذه الجولة ، وإن شمل الحزن الجانب الأكبر من نفسه ، لأنه لم ينجح بعد فى إحباط عملية غزو الأرض بأكملها ..

دسَّ (نور) بطاقة مغناطيسية صغيرة ، فى تجويف مستطيل رفيع ، بجوار باب منزل (صبرى) ، ففتح الباب فى الحال ، ودلف إلى الداخل وهو يشعر برغبة شديدة فى النوم ، بعد كل هذا المجهود الذى بذله ..

ولم يكد يضىء ردهة المنزل حتى توقَّف مبهوتًا .. كان جهاز الكمبيوتر الذى يخص (صبرى) محطَّمًا فوق أرض الردهة ، ولم يكن هناك أثر لـ (صبرى) ..

صاح (نور) ينادى صديقه فى قلق ، وتحرَّك نحو حجرة نومه ، فارتطمت قدمه بكومة من الرَّماد ، وبعثرتها فى أرجاء الصالة ، فخفض عينيه إليها يتأمَّلها فى دهشة وقلق ، ولكنه سمع صوت أقدام تتحرَّك نحوه ، فرفع عينيه إلى مصدر الصوت ، وهو يسرع بيده إلى مسدسه اللِّيزرى ..

بهت (نور) لحظة ، حينما وقع بصره على رفيقه القديم (محمود) ، وهو يقف هادئًا ، جامد النظرات ، يصوِّب إليه مربعًا شفافًا قاتلًا ، ويقول فى سخرية ، وهو

يشير إلى كومة الرماد التى ارتطمت بها قدم (نور) :

ـ هل تبحث عن صديقك الفلكى ؟.. حسنًا أيها الرائد .. هذا هو كل ما تبقّى منه .

* * *



١٢ ـ ختام الجزء الثانى ..

تدفَّق غضب رهيب فى عروق (نور) ، وامتزج بالحزن الهائل فى أعماقه ، وغلى المزيج بنيران الحقد ، ثم تفجَّر كطاقة هائلة ، اندفعت فى عضلاته ، وانطلقت من عقالها كمارد مسعور ..

وقفز (نور) من مكانه ، وتفادى الأشعة البنفسجية القاتلة ، التى انطلقت من المربع الشفَّاف الذى يمسك به (محمود) ، ثم انقضَّ عليه ، ولكمه فى قوة هائلة ، واندفع (محمود) بجسده الضئيل إلى الحائط ، وارتطم به فى قوة ، ثم سقط فاقد الوعى ، وهمَّ (نور) بتوجيه لكمة أخرى إليه فى غيبوبته ، ثم توقَّف فجأة ، وتلاشى كل ما فى أعماقه ، عدا الحزن ..

تجلَّت له فجأة الهوَّة السحيقة ، التى تردَّى فيها خلال صراعه من أجل الأرض ، رأى كيف أن

(محمود) ، زميله القديم الوديع قد تحوَّل إلى قاتـل ، وكيف أنه كاد يضرب صديقه القديم ، وهو فاقد الوعى من أجل لحظة غضب ..

تجمَّع كل ذلك فى عينى (نور) .. شحنة ضخمة من الحزن تفجَّرت فى أعماقه .. ولأول مرة فى حياته جلس (نور) يبكى ..

بكى من أعماقه على ما وصل إليه حال فريقه ..

أفرغ حزنه العميق على ما أصاب صديقه القديم (صبرى) على يد صديق آخر ..

بكى على ما فعله هؤلاء الغزاة الزُّرق فى أقرب الناس إليه ، لمجرَّد أنه يحاول إنقاذ كوكبه .

أفرغ (نور) حزنه ويأسه وألمه من عينيه ، ثم نهض وقد ازداد حزمًا وعزمًا ، وجمع الرَّماد فى عناية ، ثم تناول المربع الشفَّاف ، ودسَّه فى جيب سترته ، وألقى نظرة حزينة على ردهة منزل (صبرى) ، ثم غادره وقد ازداد إصرارًا على مقاومة الغزو .

* * *

عقد مدير أمن القاهرة أصابع كفيَّه أمام وجهه ، وتأمَّل ملامح المهندس (مجدى) لحظة فى صمت ، ثم سأله :

ـ هل أنت واثق أنه ذلك القاتل المجنون ، الذى ينتحل شخصية الرائد (نور) ؟

أجابه المهندس (مجدى) :

ـ كل الثقة يا سيِّدى ، إن شاشات الصحف المرئية تذيع صورته عشر مرات يوميًّا .

نظر مدير الأمن فى ساعته وقال :

ـ إنها العاشرة والنصف صباحًا ، وأنت تقول إنك أنزلته فى المعادى الجديدة فى الرابعة والربع .. فلماذا لم تُبلغنا حينذاك ؟

أجابه المهندس (مجدى) :

ـ لقد كنت متوتِّرًا للغاية يا سيِّدى .

مطَّ مدير الأمن شفتيه ، وهزَّ رأسه فى أسف ، ثم ضغط أزرار(*) التليفديو الموضوع فوق مكتبه ، وقال :

ـــ أريد محاصرة القاهرة تمامًا ، لا تسمحوا لأى كائن من كان بمغادرتها بأى وسيلة ، فتشوا كل السيارات الصاروخية ، كل الطوَّافات والحوَّامات ، والقطارات البرقيَّة ، لا أريد أن يغادر القاهرة مهما كان الثمن .

ثم التفت إلى المهندس (مجدى) ، وقال فى ثقة :

ـــ سيقع فى أيدينا ولا ريب أيها المهندس ، إنه لن يفلت من بين أيدينا اللهم إلَّا إذا تحوَّل إلى جرثومة صغيرة ، وفى هذه الحالة أيضًا لا يمكننى الجزم بفراره .

وأردف وهو يبتسم فى ثقة متزايدة :

ـــ لقد انتهى أمره يا سيِّد (مجدى) .. اطمئن .

* * *

فى تلك الحجرة الصغيرة فى باطن الجبل ، قال (رمزى) وهو ينظر إلى (سلوى) و (محمود) :

ـــ صحيح أنه نجح فى الفرار هذه المرة أيضًا ، ولكنها ستكون الأخيرة ، وإلَّا غضب منَّا السَّادة الزُّرق .

سألته (سلوى) :

ـــ وماذا سنفعل الآن ؟.. لقد ازداد خطورة ، فلقد تسبَّب فى فشل عملية (السماء المظلمة) .. وهو الآن يعلم كل شىء عن السَّادة .

قال (محمود) :

ـــ لقد قرَّر السَّادة الزُّرق إلغاء هذا المركز ، سينقلونه إلى مكان آخر بالقرب من جبال (أسوان) ، وهو لا يعلم إلَّا هذا المكان ، ولن يمكنه أن يفعل شيئًا .

قال (رمزى) فى اهتمام :

ـــ لابدَّ من إرضاء سادتنا الزُّرق ، لابدَّ أن نحمل إليهم رأس الرائد (نور) على طبق من فضَّة .

سألاه فى آن واحد :

ـــ وماذا تقترح يا (رمزى) ؟

ضمَّ كفيَّه خلف ظهره ، وقال فى شراسة لم تكن يومًا من طباعه :

ـــ شيء واحد يمكنه أن يهزم (نور) ، ويجعله يتخلَّى عن إنقاذ الأرض ومن عليها .

سألاه فى اهتمام :

ـــ أى شيء هذا ؟

أجاب ، وعيناه تتألَّقان ببريق وحشى :

ـــ ابنته .. ابنته (نشوى) .

* * *

مسكين أنت يا (نور) ..

الحلقة تضيق حول عنقك ..

والأرض تقترب من الضَّياع ...

لقد فقدت زوجتك ورفاقك وعملك ..

فقدت الأمان والأمن والشرعية ..

ولكنك أمل الأرض الوحيد ..

لابدَّ لك أن تتحمَّل ، وتقاتل ..

أن تقاوم ، وأن تناضل ..

من أجل الأرض .. وأهل الأرض ..

نهاية الجزء الثانى

العدد القادم

الجزء الثالث

[من وراء النجوم]

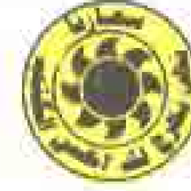
رقم الإيداع ٣٢١٥

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً !!

٣٨



من وراء النجوم

ملف المستقبل ● من وراء النجوم ● ٣٨ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

من وراء النجوم

- تُرى .. ما مصير كوكب الأرض بعد أن فشل (نور) فى إنقاذه مرتين ؟
- كيف يواجه (نور) هؤلاء الغزاة الزُرق للمرة الثالثة ، والعالم كله يحاربه ؟
- أتكون هذه هى الجولة الأخيرة ، أم تسقط الأرض فريسة لغزاة قدموا من وراء النجوم ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة واشترك مع (نور) فى حل اللُغز .

٣٨



الثمن فى مصر
ــ

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الثلوج الساخنة



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ لقاء فى الفجر ..

تمزقت أستار الليل الداكنة بخيوط الفجر الأولى ، وتصاعدت زقزقة العصافير ، لتختلط بحفيف الأشجار مع نسمات الصباح ، ونهض والد الرائد (نور) من فراشه ، وتطلَّع فى إشفاق إلى والدة (نور) ، التى جلست صامتة فوق مقعد قريب من النافذة ، تتطلَّع إلى أنوار الفجر فى شرود ، وقد سال من عينيها خيط من دموع ، تألَّقت بالأضواء المعكوسة ..

هبط الوالد من فراشه ، وتقدَّم منها فى هدوء ، ثم ربَّت على كتفها وهو يقول فى إشفاق :

ــ هل ستمضين عمرك كله فى يقظة ؟.. لا بدَّ أن تؤمن بالقضاء الإلهى ، ومادام (نور) قد اختار هذا النَّمط من الحياة المحفوفة بالخطر ، فليس من المفاجئ أن يأتينا خبر وفاته على هذا النحو ..

لم تجبه فورًا ، وإنما جفَّفت خيط الدموع أولًا ، ثم قالت فى تماسك ، ينمُّ عن صلابة وقوَّة :

ـــ لم أعتد بعد على فراقه .. ولا تنس أنه ولدنا الوحيد

قاوم الوالد دمعة جاهدت للخروج من عينيـه ، ولكـن اعتصارة قوية من الحزن فى قلبه حطمت مقاومته ، وسالت دموعه الصامتة على وجنتيه ، وظهر على أثرها واضحًا فى صوته وهو يقول :

ـــ وكيف يمكننى أن أنسى ؟.. لقد كان (نور) كل شىء بالنسبة لى ، إننى أتخيّله أحيانا وهو يُرْوِى الزهور فى الحديقة ، وأتخيّله يسألنى عن أركان لغز جديد ، ونتشارك معًا فى حل غموضه ..

صمت لحظة يمنع نفسه من الانفجار باكيًا ، ثم أشار إلى باب الحجرة ، وهو يقول :

ـــ أتخيّله وهو يفتح الباب ، ويدخل إلينا باسمًا يقول

وفجأة .. بتر الوالد عبارته ، وارتجفت أصابعه التى تتكئ على كتف الوالدة ، وبدا انفعاله صادقًا واضحًا ، حتى لقد خيل للوالدة أنها تسمع خطوات (نور) ، وصوت الباب وهو يفتح بالفعل ، ولكن جسدها لم يلبث أن ارتجف بدوْره ، حينما سمعت صوت (نور) واضحًا ، لا يقبل الشك ، وهو يقول :

ـــ أمّاه !! أبتاه !! كم تسعدنى رؤيتكما !!

استدارت الأم بحدّة وسرعة نحو مصدر الصوت ، وسرت ارتجافة قوية فى جسدها من أعلاه إلى أدناه ، وهى تحدّق فى ذلك الشبح الذى ظهر على عتبة الباب المفتوح .

كان من المستحيل تمييـز ملامحه فى هذا الركـن الشديـد الإظلام ، ولكن قلبها نبض فى قوة ، وهتـف يخبرهـا أن هـذا الشبح هو ابنها ، بشحمه ، ولحمه ، ووجدت نفسها تشترك مع والده فى صرخة واحدة :

ـــ يا إلهى !! إنه (نور) .. ولدنا .

تقدّم (نور) منهما بخطوات مرتجفة منهكة ، وسقط الضوء على وجهه ، مبيّنًا ملامحه التى تنمّ عن إرهاق عنيف ، وحاول جاهدًا أن يبتسم ، ولكن ابتسامته بدت شاحبة ، تنافس وجهه ، ورفع كفّه نحو والديه ، ثم بدا وكأن طاقته قد انطفأت فجأة ، وتمايل جسده ، وتخاذل ، ثم سقط بين ذراعى والده ، فاقد الوعى والإدراك .

* * *

ساعات عدة مرّت منذ فقد (نور) وعيـه .. ساعـات طويلة وهو راقد فى فراشه ، وإلى جواره جلست أمه ، تخلّل خصلات شعره الناعمة بأصابعها ، وتتأمّل ملامحه فى حنان ، غير مصدّقة أن ولدها لم يفارق الحياة بعد ...

شىء ما فى أعماقها منعها من إبلاغ أحد بعودة ابنها ، وشاركها الأب هذا الشعور ، وبقى صامتًا ، متماسكًا ، يدخن غليونه ، ويتأمَّل ولده ، الذى أخذ يَهذى بكلمات متداخلة غير مفهومة فى غيبوبته ، حتى فتح عينيه فى النهاية ...

كانت الشمس قد قاربت الغروب ، حينما استيقظ (نور) من غيبوبته ، وابتسم أخيرًا وهو يتأمَّل ملامح والديه ، وهمس فى حنان :

ـــ كيف حالك يا أمَّاه ؟.. كيف حالك يا أبى ؟

بكت والدته من شدة سعادتها ، وهى تقول :

ـــ فى خير حال يا ولـــدى ، ماذا أصابك أنت ؟.. انتظر .. لا تقصّ شيئًا .. سأعدّ لك أولًا كوبًا من الشاى يساعدك على الانتعاش .

أسرعت الوالدة تعدّ كوب الشاى ، على حين جلس الوالد إلى جوار ابنه ، وقال فى رصانة :

ـــ حمدًا لله على عودتك سالمًا يا بنىّ .

وتشاغل فى إشعال غليونه ، وهو يستطرد :

ـــ إننا لم نخبر أحدًا بعودتك ، لا أحد على الإطلاق ، وأظن هذا أفضل ... أليس كذلك ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ حسنًا فعلتما يا والدىّ .. إن الأمر بالغ التعقيد إلى حدٍّ يصعب معه تصديقه .

عادت الوالـدة مسرعـة بكـوب الشاى ، فتناولـــه منها (نور) ، وشكرها ، ثم أخذ يرشف جرعات الشاى الدافئ فى بطء ورويَّة ، ثم لم يلبث أن قال :

ـــ استمع لى يا والدى .. استمعى لى يا أمَّاه .. قد يكون ما ستسمعونه منِّى بالغ الغرابة ولكنه حقيقة ، كل كلمة فيه حقيقية ، وتحمل الكثير من الخطورة .

أصاخ الوالدان سمعهما فى اهتمام ، على حين رشف (نور) رشفة أخرى من الشاى ، ثم استطرد :

ـــ منـذ خمسة أيام تقريبًـا ، كُلِّفت تحقيـق جريمة قتل غامضـــة ، ذهب ضحيتها عالم آثار يدعى الدكتور (وليـد عبد الحكيم) ، وكان المتهم فيها صديق قديم لى يدعى الدكتور (فؤاد عيسى) ، ولقد أصرَّ الدكتور (فؤاد) على أن القاتل رجل أزرق اللون ، أحمر العينين بلون الـدم .. ودون الدخـول فى تفاصيل كثيرة أقول إن هذا التحقيق قد قادنا إلى منطقة جبلية قريبة من قرية تدعى (أولاد عمرو) فى محافظة (قنا) ، حيث

كان الدكتور (وليد) يجرى آخر أبحاثه ، وهناك سمعنا أسطورة تقول بوجود أشباح لهم بشرة زرقاء يجوبون المنطقة ليلًا .. ولقد هاجمنا أحدهم بالفعل ، وأفقدنى وعيى ، وحينما أفقت كشفت أننى الوحيد المحتفظ بذاكرتى ، وأن أصحاب البشرة الزرقاء قد سيطروا على رفاق تمامًا ، ومحوا من ذاكرتهم تفاصيل الصراع فى وادى (أولاد عمرو) ، بل وحوَّلوهم إلى أعداء لى ، يحاولون قتلى ، ولقد اشتبكنا أكثر من مرة أنا و (سلوى) ، و (رمزى) ، و (محمود) ، ولكننى تغلَّبت عليهم ، ونجحت فى الفرار ، وذهبت إلى الدكتور (حجازى) محاولًا الاستعانة به ، ولكننى فوجئت أنه أيضًا واقع تحت سيطرة الغُزاة .

غمغم الوالد متسائلًا :

ـــ الغُزاة ؟! ..

أجابه (نور) :

ـــ نعم يا والدى ، فلقد كشفت أن هؤلاء الزُّرق ، ماهم إلا غزاة من كوكب آخر ، يسعون لاحتلال كوكب الأرض ، والسيطرة على سكانه .

غمغمت الوالدة فى دهشة :

ـــ ربَّاه !!

عاد (نور) يستطرد :

ـــ المهم أنهم أشاعوا أمر موتى ، ووجود قاتل يحتل هيئتى ، وبدأ الجميع يطاردوننى بشراسة ، ولا أحد يمنحنى ما يكفى من الوقت لشرح الأمر ، أو حتى لمحاولة إنقاذ الأرض فى صمت .

وارتسم الحزن على وجهه ، وهو يردف :

ـــ لقد قتلوا صديقى الفلكى (صبرى) ، قتله (ممدوح) دون أن يدرى .. أنهم يحاربوننى بكل شراسة حتى لا أشكل خطرًا عليهم(*) .

ارتجفت الوالدة رعبًا ، وصاحت بصوت مختنق :

ـــ يا إلهى !! (نشوى) ؟!

انتقلت ارتجافتها إلى (نور) ، وهو يسألها فى توتُّر بالغ :

ـــ ماذا أصاب (نشوى) يا والدتى .. ماذا أصابها ؟

قالت الوالدة فى قلق :

ـــ أنت تعلم أن (سلوى) تترك (نشوى) ابنتكما لدينا ، فى كل مرة تُكلَّفون مهمة ما ، وهذه المرة تركتها طويلًا ، ثم عادت

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأول والثانى من القصة ، وهما المغامرتان (٣٦) و (٣٧) تحت اسمى (الموت الأزرق) و (السماء المظلمة) .

فجأة أمس لتأخذها ، وكانت شاردة النظرات ، قاسية الكلمات ، ولقد قالت حينئذ عبارة لم أفهمها ، ولكننى فهمتها الآن .

صاح (نور) وقد بلغ توتُّره مبلغه :

ــ ماذا قالت يا أُمَّاه ؟

عادت الدموع إلى عينى الوالدة ، وهى تقول :

ــ قالت إن أخذ (نشوى) هو الشىء الوحيد الذى يضمن عودة (نور) .

شحب وجه (نور) ، وقال :

ــ يا إلٰهى !! لقد أخذوا ابنتى ليجبرونى على الاستسلام .

صاح الوالد :

ــ احرص على ابنتك يا ولدى ، لا تدعهم يسيئون إليها .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة ، بدت مخيفة فى آذان والديه :

ــ لو أننى استسلمت فستضيع الأرض حتمًا يا والدى ، وستخسر ابنتى حريتها وكيانها فى كوكب يحتله الجنس الأزرق ، أما القتال فإنه يعنى دائمًا وجود الأمل ، وسأقاتل .. سأقاتل حتى آخر رمق ، من أجل الأرض .

* * *

٢ ــ الوسيط ..

اجتاز المنوم المغناطيسى الشهير البروفيسير (عمَّار طنطاوى) باب منزل والد (نور) ، وهو يضحك ، قائلًا بمرح :

ــ إننى لم أعد أفهمك تمامًا يا (محمود) ، سنوات طوال نكتفى بتبادل التحية ، أو بعض كلمات المجاملة العابرة ، ثم أجدك فجأة تصرّ على اصطحابى لتناول القهوة فى منزلك .. ماذا حدث ؟

أجابه الوالد دون أن يبتسم :

ــ ربما لأننى أحتاج إليك هذه المرة يا بروفيسير .

ضحك البروفيسير (عمَّار) ، وهو يقول :

ــ ولِمَ تحتاج إلىَّ يا (محمود) ؟!! .. هل تريد تنويم زوجتك ، وإجبارها على إجادة الطَّهو ، أو أنك ترغب فى الاستيقاظ من نوم عميق ؟

جاءت الإجابة من على بعد أمتار قليلة ، ومن فم آخر غير فم الوالد ، وبصوت ولهجة مختلفين ، وكانت تقول :

ـ إنه السبب الثانى يا دكتور ..

استدار البروفيسير (عمّار) إلى مصدر الصوت فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن تراجع فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يا للسماء !!.. هل عاد ولدك من موته ، أو أن هذا شبح يا (محمود) .

ثم استطرد صائحًا :

ـ كلَّا .. لقد فهمت .. إنه ذلك المحتال القاتل ، الذى ينتحل شخصيته ولدك رحمه الله و ....

قاطعه (نور) ، قائلًا فى صرامة :

ـ كفى يا بروفيسير .. إننى لن أرغمك على التعاون .. سأثبت لك أننى (نور) الحقيقى ، وسأقص عليك القصة كلها ، ولتفعل ما يحلو لك بعد ذلك .

* * *

ساد صمت حرج طويل بعد أن انتهى (نور) من قصته ، ولم تبد على ملامح البروفيسير (عمار) أيَّة بادرة ، تؤكد أو تنفى تصديقه الأمر بمجمله ، وإن اتَّضحت فى انعقادة حاجبيه آثار التفكير العميق ، واحترم الجميع صمته ، فلاذوا به بدورهم ، إلى أن رفع هو رأسه إلى (نور) ، وقال :

ـ هل درست علم النفس يا فتى ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، ثم قال :

ـ القليل جدًّا فى كلية الشُّرطة يا بروفيسير .

اعتدل البروفيسير ، وهو يقول فى هدوء وحزم :

ـ إننى أصدِّقك يا فتى .. أصدِّق كل كلمة مما قلت ، إلَّا إذا كنت خبيرًا بالطب النفسى .

التقت نظرات الوالد والوالدة و (نور) فى دهشة ، قال (نور) :

ـ ماذا يعنى هذا يا بروفيسير ؟

أجابه البروفيسير (عمَّار) وهو يبتسم ، ويهزّ مقعده فى هدوء :

ـ لقد شرحت بدقة نوعًا من السيطرة العقلية ، يعرف باسم (الاحتواء العقلى التام) .. وفى هذه الحالة يفقد الإنسان كل مشاعره السابقة ، حتى الغريزى منها ، كعاطفة الأمومة ، والصداقة ، والحُبّ .. إلخ .. ويتحوَّل إلى نسخة ممن يسيطر عليه عقليًا ، حتى فى صوته ، وأسلوب حديثه ، وهذا هو نوع السيطرة التى يتبعها الغزاة ، ولم تكن لتصفه بكل هذه الدقة ، ما لم تكن قد رأيته بعينيك .

ثم أشار إلى والدى (نور) ، وهو يتابع باسمًا :

ـ بالإضافة إلى أن والديك هما أقرب الناس إليك ، وما داما يؤكدان أنك هو (نور) الأصلى ، فهذا يعنى أن الأمر أكبر بكثير مما تظن ، أقصد مما يظن البعض .

تنهَّد (نور) فى ارتياح ، وقال :

ـ هل ستعاوننى إذن ؟

نهض البروفيسير (عمَّار) ، وسار نحو (نور) فى هدوء ، ثم صافحه ، وشدَّ على يده فى قوة ، وهو يقول فى إخلاص وعزم :

ـ بكل ما أملك من قوة يا صديقى .

* * *

نظر البروفيسير (عمَّار) إلى ساعته ، ونهض وهو يقول :

ـ إنها الثانية عشرة والنصف ، لقد استغرقنا وقتًا طويلًا لمناقشة الأمر .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ لقد شرحت لك كل ما يتعلَّق برفاق .. هلا أخبرتنى كيف يمكننى تحرير زوجتى ورفاق من السيطرة العقلية لهؤلاء الغزاة ؟

حكَّ البروفيسير ذقنه براحته ، وقال فى حَيْرة :

ـ إننى أخشى سؤالك هذا منذ البداية يا (نور) ، فهذا النوع من أنواع السيطرة العقلية يخضع تمامًا للمسيطر الأوَّل ، بحيث لا يمكن لأحد غيره أن يحرِّر المسيطر عليه من السيطرة ، إلا إذا ....

سأله (نور) فى لهفة :

ـ إلَّا إذا ماذا ؟

هزَّ رأسه فى تردُّد ، ثم أجاب :

ـ إلا إذا تعرَّض المسيْطَر عليه لِصدمة ما ، حينئذ يَسْهُل تحريره وهو واقع تحت أثر هذه السيطرة .

عقد (نور) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ صدمة ما ؟!

ثم تهلَّلت أساريره فجأة ، وصاح :

ـ رائع يا بروفيسير .. لقد وجدت الوسيلة المناسبة ، و ....

وفجأة .. بتر (نور) عبارته ، وعاد وجهه يتجهم ، وهو يقول :

ـ يا إلٰهى !! لقد نسيت أهم النقاط ، إننى لم أعد أعلم أين

أجد هؤلاء الغزاة الزُرق ، بعد أن غادروا وكرهم فى (أولاد عمرو) .

أجابه والده فجأة ، بهدوء شديد ورصانة ، وهو يشعل غليونه فى بطء :

ــ ستجدهم فى (أسوان) ياولدى ، فى منطقة ماقرب محاجر (أسوان) .. ولو أردت الدِّقة ، فسأقول إنهم هناك فى المنطقة الواقعة خلف بحيرة ناصر تمامًا .

حدَّق (نور) والبروفيسير (عمَّار) فى وجه الوالد بدهشة ، وصاح (نور) :

ــ كيف علمت هذا ياوالدى ؟

ابتسم الوالد ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هل كنت تظن نفسك أبرع أهل الأرض ، فى فن الاستنتاج ياولدى ؟..

لقد رتبت الأمور ببساطة ، وتوصَّلت إلى ذلك .

سأله البروفيسير فى دهشة :

ــ وكيف ؟!

نفث الوالد دخان غليونه ، وابتسم وهو يقول فى هدوء :

ــ حينما أتت (سلوى) لأخذ ابنتها ياصديقى ، لقد ترك

حذاؤها بعض الغبار الأحمر على درجات السُلَّم ، كما كانت إطارات سيارتها ملوَّثة كذلك بنفس الغبار .. وهذا النوع من الغبار الأحمر لا يتواجد إلا فى محاجر (أسوان) ، الواقعة خلف بحيرة ناصر تمامًا .. هل رأيتم كم هو سهل هذا الاستنتاج ؟

تأمَّل (نور) ملامح والده ، وكأنه يراها للمرة الأولى ، ثم غمغم :

ــ أنت عبقرى ياوالدى .

ابتسم الوالد وهو يقول :

ــ الأمر لا يحتاج إلى كل هذا الثناء ياولدى .

نهض (نور) ، قائلًا فى حزم :

ــ هل ترافقنى إلى (أسوان) ياسيِّدى البروفيسير ؟

مطَّ البروفيسير (عمَّار) شفتيه ، وقال :

ــ ولِمَ لا ؟.. إننى أحتاج إلى بعض النشاط .

فى تلك اللحظة .. ارتفع صوت دقَّات عنيفة على باب المنزل ، وجاء صوت أجشّ يقول :

ــ افتح الباب ، نحن شرطة (القاهرة) ، ونبحث عن قاتل ينتحل شخصية الرائد السابق (نور الدين) .. لدينا مايفيد وجوده هنا ، والمنزل محاصر بأكمله .. لا فائدة من الفرار .

* * *

٣ ـ صراع الأقوياء ..

ظهر الجزع على وجوه الوالد والوالدة ، والبروفيسير (عمار) ، والتقت نظراتهم عند وجه (نور) ، الذى قال فى عناد :

ــ لن ينالنى أحدهم حيًّا .

وأعقب قوله بأن انتزع مسدسه اللّيزرى من حزامه ، فأسرع البروفيسير يقبض على معصمة ، قائلًا :

ــ مهلًا يا فتى .. قتال رجال الشُرطة لا يفيد ، وهو لا يشرّف رجل شرطة سابق .

ابتسم (نور) فى سخرية ، وقال :

ــ هل تريد منى أن أستسلم إذن ؟

هزّ البروفيسير رأسه نفيًا ، وابتسم وهو يقول فى بطء :

ــ ولا هذا أيضًا يا بنىّ .. هناك وسيلة أفضل ، وأقل ضررًا .. استمع إلىّ جيّدًا ، وستجدها كذلك .

* * *

فتح والد (نور) باب منزله ، وتطلّع إلى الضابطين الواقفين ببابه ، وقال فى هدوء ، وهو ينفث دخان غليونه :

ــ أيّة خدمة يمكننى تقديمها أيها السيّدان ؟

تقدّم الضابطان إلى الداخل ، ودار أحدهما فى أرجاء المنزل ببصره ، ثم قال :

ــ لماذا لم تفتح الباب على الفور يا سيّد (محمود) ؟

أجابه والد (نور) فى برود :

ــ كنت أشعل غليونى ، وهو يستغرق عادةً وقتًا طويلًا .

تفرّس الضابط فى ملامح الوالد فى ريبة ، ثم قال :

ــ لدينا أمر بتفتيش المنزل .

مطّ الوالد شفتيه ، وأشار بكفّه بلا مبالاة ، وهو يقول :

ــ افعل ما بدا لك ، فيبدو أنكم فقدتم القدرة على تمييز الأمور .

صاح الضابطان فى دهشة :

ــ ماذا تقول ؟!

أجابهما وهو ينفث دخان غليونه مرة أخرى :

ــ إنكم تبحثون عن محتال قاتل ، ينتحل شخصية ولدى ، بعد أن قتله .. فهل تنتظرون أن أخفيه فى منزلى ؟

تبادل الضابطان نظرات الحيْرة ، فقد كان منطق الوالد سليمًا للغاية .. وقال أحدهم فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :

ـــ إنها الأوامر يا سيِّدى .

وفجأة .. دوّى صوت (نور) يقول :

ـــ أنا الذى سأصدر الأوامر هذه المرة أيها السيِّدان .

استدار الضابطان فى حدَّة ، وامتدت أيديهما إلى موضع سلاحيهما ، ولكن نظرة واحدة إلى المسدس اللِّيزرى الذى يصوِّبه إليهما (نور) ، جعلتهما يتخلَّيان عن فكرة المقاومة ، وقال أحدهما فى غضب :

ـــ مقاومة رجال الشرطة جريمة يا سيد (محمود)

ابتسم والد (نور) ، وقال فى دهشة مصطنعة ، وهو يسأل البروفيسير :

ـــ مقاومة رجال الشرطة ؟! .. هل رأيت شيئًا من هذا القبيل يا بروفيسير ؟

أجابه البروفيسير فى هدوء ، وهو يتقدَّم من رجلى الشرطة ، وينظر إلى عيونهما مباشرة :

ـــ مطلقًا .. إننى لم أرَ شيئًا .

شىء ما فى عينى البروفيسير جذب عينى الضابطين تمامًا ، وجعلهما لا يريان من المنزل بأكمله ، سوى عينين واسعتين .

كدوَّامتين لا قرار لهما ، وشعر كل منهما أنه يغوص فى العينين حتى الأعماق .. أعماق الأعماق ، وسرى صوت عميق عَبْر آذانهما إلى عقليهما يقول :

ـــ لقد فتشتما المنزل ، ولم تجدا أحدًا ، لقد فتشتماه شبرًا شبرًا ، وستعودان إلى قادتكما ، وتؤكدان عدم وجود أى أثر لـ (نور) أو شبيهه هنا ، ثم سترجعان إلى هنا ، بسيارة من سيارات الشرطة الصاروخية .. ستكونان جواز سفرنا إلى محاجر (أسوان) .

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة والنصف صباحًا ، حينما انطلقت سيارة من سيارات الشرطة ، بسرعتها البالغة ستمائة كيلو متر فى الساعة ، إلى خارج القاهرة ، وخلفها سيارة أخرى يقودها البروفيسير (عمار) .

وعند أول طريق الصعيد الصاروخى ، توقفت سيارة الشرطة ، وتقدَّم منها ضابط أمن ، فحص أوراق الضابطين ، وتأكد من صحتها ، ثم أشار إلى الجسد المتكوم على المقعد الخلفى ، وقال :

ـــ من هذا ؟

أجابه الضابط الأول :

ـــ لص نذهب به إلى (المنيا) .

سأله رجل الأمن فى تشكك :

ـــ فى مثل هذه الساعة ؟

تصنَّع الضابط الأول الرصانة ، وهو يقول :

ـــ سيتم إعدامه هناك مع الفجر .

أومأ رجل الأمن برأسه علامة الفهم ، وقال وهو يشير إليهما بالذهاب :

ـــ إننى أفهم مثل هذه الأمور .

انطلقت سيارة الشرطة ، مجتازة نطاق الأمن المقام حول القاهرة .. ولم تكد سيارة البروفيسير تتم إجراءات الأمن ، حتى انطلقت خلف سيارة الشرطة ، والتقت السيارتان بجوار مدينة (بنى سويف) ، حيث توقفتا ، وهبط (نور) من المقعد الخلفى لسيارة الشرطيين ، على حين توجَّه إليهما البروفيسير (عمَّار) ، وحدَّق فى عينيهما قائلاً :

ـــ ستنسيا كل شىء عما حدث ؟ ستعودان إلى منزليكما ، وتنامان ، ولن تذكرا شيئًا حين استيقاظكما .

أومأ الضابطان برأسيهما إيجابًا ، وانطلقا بسيارتهما فى طريق العودة ، على حين أدار (نور) محركات سيارة البروفيسير قائلاً :

ـــ هلُمَّ بنا يا بروفيسير ، لقد عَبرنا الحصار ، وعلينا أن ننطلق فورًا إلى هدفنا .

احتل البروفيسير المقعد المجاور لـ(نور) وهو يغمغم فى هدوء :

ـــ نعم .. سننطلق إلى حيث غزاة زرق ، قدموا من وراء النجوم .

* * *



٤ ــ الأرض الزرقاء ..

توقَّفت سيارة (نور) فى محاجر (أسوان) ، فى تمام الثالثة والنصف صباحًا ، وقفز هو منها فى رشاقة ، ثم أخرج مسدسه الليزرىّ ، وأخذ يتلفَّت حوله ، على حين هبط البروفيسير (عمّار) فى قلَق وتوتُّر ، ودار حول مقدمة السيارة ، لينضم إلى (نور) الذى همس :

ــ إنهم فى مكان ما هنا يا بروفيسير ، ربما تحت هذه الكومة من الجرانيت ، أو أسفل هذا الجبل ، ولكنهم هنا .

غمغم البروفيسير ، وقد بدأ الخوف يزحف إلى قلبه :

ــ إننا كمن يبحث عن إبرة فى كومة من القش يا (نور) .

أخرج (نور) من جيب سترته مكعَّبًا صغيرًا ، وهو يقول :

ــ كلَّا يا سيِّدى ، إن وضعنا أفضل بكثير ، فقد أفدت كثيرًا من زواجى خبيرة فى الاتصالات والتتبُّع .

سأله البروفيسير :

ــ ما هو الجهاز الذى تحمله ؟

أجابه (نور) ، وهو يضغط زرًّا صغيرًا فى طرف المكعب :

ــ منطقة المحاجر خالية تمامًا من أيَّة أجهزة إليكترونية ، خاصة فى الليل ، حيث يتوقف العمل ، فى حين أن وكر الغزاة الزُّرق ، لا بدَّ أن يحوى عددًا ضخمًا من الأجهزة الإليكترونية ، وعمل هذا المكعب الصغير هو كشف التردُّدات الإليكترونية فى دائرة نصف قطرها خمسة كيلومترات يا سيِّدى .

لم يكد (نور) يتم عبارته ، حتى تحوَّل المكعب فى كفِّه من اللون الأصفر إلى البرتقالى ، إلى الأحمر ، ثم تراصت فوق أحد وجوهه الستة أرقام متتابعة ، ذات لون أزرق برَّاق ، وابتسم (نور) وهو يقول فى انفعال :

ــ ها هو ذا الوكر الجديد يا بروفيسير ، على بعد كيلومتر إلى الشمال الشرقى حيث نقف ، وعلى عمق مائتى متر .. هل رأيت كم هو رائع ذلك المكعب الصغير الذى اخترعته زوجتى (سلوى) .

وبدلًا من أن يسمع (نور) إجابة البروفيسير (عمَّار) ، سمعه يصدر شهقة تموج بالرعب والدهشة ، فاستدار فى حركة

حادَّة إليه ، وشعر بغضب قوى يسيطر على أعماقه .. فهنالك على بعد خطوات منهما ، وقف ثلاثة من الرجال الزُّرق ، وعيونهم الحمراء كالدم ، تحدِّق فيهما بغضب واضح ، وفى كفّ كل منهم استقر مربع شفاف ، من ذلك النوع الذى يطلق الأشعة القاتلة ، وكانت المربعات الثلاثة مصوَّبة إلى (نور) والبروفيسير (عمّار) .

* * *

تحرَّكت يد (نور) بسرعة إلى سترته ، وانتزع جهاز التردُّد الصوتى ، وأطلقه نحو المسوخ الثلاثة ، وانطلق الصوت قويًّا ، يصُم الآذان .. ولكن واحدًا من الرجال الزُّرق لم تبد عليه أقل آثار لذلك التردُّد الصوتى ، الذى هزمهم من قبل(*) ، وبدلًا من ذلك ، انطلقت من مربع أحدهم دفعة من الأشعة البنفسجية القاتلة ، أصابت جهاز التردُّد الصوتى ، فتألَّق ، وقذف به (نور) بعيدًا ، قبل أن يمتد الأثر القاتل إليه .. وقبل أن يمس الجهاز أرض المحاجر ، تناثر رماده فى الهواء ..

ارتجف قلب البروفيسير (عمار) ، وتراجع فى ذُعر وهو يشاهد تلك الوجوه الزَّرقاء ، والعيون الحمراء ، وازداد وجله

(*) راجع (السماء المظلمة) .. المغامرة رقم (٣٧) .

حينما تبخَّر سلاح (نور) ، وتحوَّل إلى حفنة من الرماد بعثرها الهواء ، ولكن الرجل كان صلبًا قويًّا بحقّ ، فقد تغلَّب على خوفه بسرعة مذهلة ، وانقض على المسوخ الثلاثة ، وكأنه يظن فى نفسه القدرة على هزيمتهم ، أو يمنح (نور) فرصة الهرب ..

صرخ (نور) فى توتُّر :

ـــ كلَّا يا بروفيسير ....

ولكنه قبل أن يتم عبارته ، رأى البروفيسير بين ذراعى واحد من الغزاة الزُّرق ، على حين رأى الآخرين يطلقان أشعتهما البنفسجية نحوه .. وقفز (نور) جانبًا ، وتفادى دفقة من الأشعة ، وشعر بالثانية تُبخِّر حجرًا ضخمًا بين قدميه ، ورأى البروفيسير يطير فى الهواء ، بعد أن قذف به المسخ الأزرق بقوته الأسطورية ، ويرتطم بحجر ضخم من أحجار المنطقة ، ورآه يسقط على ظهره جاحظ العينين ، فصرخ (نور) :

ـــ لقد قتلتموه ..

وفى نفس اللحظة .. انطلقت نحو (نور) ثلاثة خيوط من الأشعة البنفسجية القاتلة ، ولكنه وجد نفسه يقفز عاليًا ... أعلى مما كان يتصوَّر قدرته بكثير ، ويتفادى الخيوط الثلاثة ، ثم هبط على بعد مترين من الوحوش الثلاثة .. ربما كان هو الغضب



وراه يسقط على ظهره جاحظ العينين ، فصرخ (نور) :
ــ لقد قتلتموه ..

الذى دفع بكل هذه القوة فى عروقه ، أو ربما هو الخوف ، أو الكراهية ، ولكنه دون تفكير ، انقض على أقرب الممسوخ إليه ، وكال له لكمة أودعها كل غضبه ، وخوفه وكراهيته ، ورآه يسقط ..

رأى المسخ الأزرق يهوى إثر لكمته ، ورأى الآخرين يحدقان فيما حدث بذهول ..

هو نفسه لم يصدق ما فعله ، برغم أن المسخ الأزرق قد نهض على الفور ، واشترك مع زميليه فى تصويب أسلحتهما إلى (نور) ..

(نور) الذى يكره القتل والدمار ...
والذى يسعى من أجل الأرض ...

تحركت يد (نور) فى سرعة ، وانتزع مربعًا شفافًا ــ شبيهًا بذلك الذى يمسك به الغزاة ــ من جيب سترته ، وصوبه إليهم ، ثم أطلق أشعته البنفسجية نحو أولهم ، ورآه يتألق دون أن يصدر صوتًا .. وقبل أن يفيق المسخان الآخران من دهشتهما ، أصابتهما أشعة (نور) .. وتألقا وهلة ، ثم تلاشيا إلى جوار زميلهما ، وتحول الثلاثة إلى ثلاث حفنات من الرماد ..

* * *

ألقى (نور) جسده على أقرب حجر إليه ، وجلس يلهث كما لو كان يعدو مائة كيلومتر ، وتأمّل المربع الشفَّاف الذى قتل به المسوخ الثلاثة ، وشعر برغبة شديدة فى القىء وهو يسترجع لحظات قتله لهم ..

كان يكره القتل إلى درجة عجيبة ..

يكرهه إلى حدّ تفضيل الموت لنفسه ، بدلًا من قتل غيره ...

ولكنه لم يكن يدافع عن نفسه هذه المرة ..

بل كان يدافع عن كوكب الأرض ..

وتنهّد (نور) فى حزن ، وعاد بذاكرته إلى تلك الليلة المشئومة ، حينما لقى صديقه (صبرى) مصرعه على يد (محمود) ، بسلاح كهذا ..

يومها كاد هو يقتل (محمود) ، وانتزع منه هذا السلاح ، بعد أن هزمه ، وها هو ذا يقتل به ثلاثة من الغزاة .

دسّ (نور) المربع الشفّاف فى جيب سترته بحزن ، ثم تحرّك نحو جسد البروفيسير الملقى فوق حجر ضخم ..

أدهشه أن البروفيسير كان حيًّا برغم عموده الفقرى المحطّم ، فأسرع نحوه ، ورفع رأسه بذراعيه ، وهتف :

— سأسرع بك إلى أقرب مستشفى يا بروفيسير ، هناك مستشفى رائع فى (أسوان) و ....

قاطعه البروفيسير بإشارة من يده ، وقال وهو يحاول الابتسام فى صعوبة :

— لا فائدة يا بنىّ .. لقد تحطّم عمودى الفقرى ، ويدى هذه هى الجزء الوحيد من جسدى ، الذى ما زال يعمل بكفاءة ، باستثناء عقلى وأحشائى .

وتأوّه فى ألم ، ثم استطرد :

— كنت أودّ أن أعاونك يا ولدى ، ولكن القدر لم يشأ ذلك .

وابتسم فى صعوبة مردفًا :

— لو أننا نمثّل فيلمًا سينمائيًّا ، لكان هذا آخر مشاهده ، و ....

تردّدت الكلمة الأخيرة على لسانه ، وشحب وجهه فى شدة ، وتشنجت عضلاته ، ثم لم تلبث حركته أن همدت ..

أرقده (نور) بهدوء ، ونهض واقفًا ، وحبس شلّالًا من الدموع بين الجفن والعيون ، ورفع رأسه يتأمّل النجوم المتلألئة فى

السَّماء ، ثم عاد يتأمَّل الشهيد الثانى من أجل الأرض ، وشعر بفيض من الغضب يسرى فى عروقه ، فرفع قبضته إلى النجوم وصاح فى غضب :

لن تنتصروا ... لن يخضع لكم ملك الأرض .. سأحاربكم حتى يقضى أحدنا حَتْفه .. سأقاتلكم حتى الموت يا من أتيتم من وراء النجوم .

* * *



٥ ــ قلب الأرض ..

توقفت سيارة صاروخية عادية ، أمام ڤيلَّا صغيرة ، فى حىٍّ ما من أحياء القاهرة وهبط منها رجل وقور ، هادئ الملامح ، رصين الحركة ، توجَّه فى هدوء إلى بوابة منزله ، وسأل الرجل الذى يقف أمامها فى زىٍّ عادىّ :

ــ هل كل شىء على ما يرام يا (محسن) ؟

أجابه الرجل فى لهجة تنمّ عن احترام بالغ :

ــ كل شىء على ما يرام يا سيِّدى .

ابتسم الرجل الوقور ، وربَّت على كتف الرجل الآخر فى حنان وأبوَّة ، ثم سار فى خطوات هادئة إلى الڤيلَّا ، وفتح بابها فى هدوء ، ثم دلف إلى الداخل ، وأغلق الباب خلفه ، وتنهَّد فى عمق ..

لم يكن هذا الرجل سوى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهذا الرجل الآخر الذى يقف أمام الڤيلَّا ، واحد من أبرع رجال الأمن فى الإدارة .. ولم يكن شكل الڤيلَّا يوحى بأن

قاطنها هو صاحب ذلك المنصب الخطير ، منصب القائد الأعلى لواحدة من أقوى منظمات المخابرات العلمية فى العالم .. ولم يكن هذا النظام البسيط فى الأمن إلَّا مجرَّد ستار ، لنظام أمن معقَّد قوىّ ، من الصعب ، بل من المستحيل تقريبًا أن ينجح إنسان ما فى اختراقه ...

لم تكن هذه سوى مقدمة ، حتى يمكن تصوُّر مدى الصَّدمة التى أصابت القائد الأعلى ، عندما أضاء ردهة الفيلَّا ، وفوجئ



بفوَّهة مسدس ليزرىّ مصوَّبة إلى رأسه ، وخلفها يجلس الرائد (نور) هادئ الملامح ، تطل من عينيه نظرة تفيض بالحزن والأسى ..

* * *

مضت دقائق قاسية من الصمت ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى غضب :

ــ كيف نجحت فى الوصول إلى هنا ؟

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال :

ــ إننى تلميذك النجيب يا سيِّدى ، ولا تنس أننى أحفظ كل وسائل الأمن المتبعة لحراسة فيلتك عن ظهر قلب .

ظهر الغضب على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ــ أما زلت مصرًّا على انتحال شخصية (نور) ؟. قد يمكنك خداع العالم أجمع ، ولكن نجاحك فى دخول الفيلَّا لن يقنعنى أنك ....

قاطعه (نور) ، وهو يقول :

ــ لا تدعهم يخدعونك يا سيِّدى ، أنا (نور) الحقيقى .

ابتسم القائد الأعلى فى شجاعة وسخرية ، وقال :

ــ من هذا الذى يخدعنى ؟.. زوجتك ، أم رفيقاك (رمزى) و (محمود) ؟

ظهر الحزن على وجه (نور) ، وهو يقول :

ــ كلهم يا سيِّدى .

أطلق القائد الأعلى ضحكة تهكُّمية مريرة ، وقال :

ــ يا لها من محاولة سخيفة ساذجة !!

تنهَّد (نور) ، وقال :

ــ استمع إلىَّ أولاً يا سيِّدى ، وبعد أن أقصَّ قصَّتى ، لك أن تفعل ما يمليه عليك ضميرك .

أخذ (نور) يقصّ ما حدث ، منذ قضية الدكتور (فؤاد عيسى) ، حتى دخوله إلى فيلا القائد الأعلى ، الذى أخذ يستمع إليه فى صمت وانتباه ، والشك ينازع الحيْرة فى ملامحه ، إلى أن انتهى (نور) من قصته ، فساد الصمت التام عدة دقائق ، قبل أن يهزّ القائد الأعلى رأسه ، ويقول :

ــ إنها قصة عجيبة ، من الصعب تصديقها أيها الشاب .

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ لقد واجهنا ما هو أعقد فى مغامرات سابقة يا سيِّدى .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ــ ليس إلى هذا الحدّ ، فأنت تطلب منّى أن أرفض ما قالته (سلوى) ، وما أكده (رمزى) و (محمود) ، وتجاهل فشل أجهزة التحقّق من الشخصية فى تأكيد شخصيتك .. عدم تصديق ما أعلنته جريدة (أنباء الفيديو) ، وفى الوقت نفسه تطلب منّى تصديق قصة عجيبة عن عملية غزو لكوكب الأرض بأكمله .

قال (نور) فى هدوء :

ــ ولكنها الحقيقة يا سيِّدى .

قال القائد الأعلى فى جِدَّة :

ــ الحقائق كلها تحتاج إلى أسانيد ، عملنا نفسه يحتّم ذلك .

نهض (نور) فى هدوء ، وتقدم من القائد الأعلى ، وناوله المسدس اللِّيزرى ، وتناوله القائد الأعلى فى دهشة ، على حين عقد (نور) ساعديه ، وقال فى هدوء :

ــ هأنذا ملك يمينك يا سيِّدى ، ، إننى أراهن بحياتى فى سبيل إنقاذ كوكب الأرض ، وحكمتك فى معالجة الأمر هى ضمانى الوحيد .

رفع القائد الأعلى فوَّهة المسدس اللِّيزرى فى وجه (نور) ، وقال :

ــ من يدرينى أنها ليست مجرَّد خطَّة بارعة ، لتنتمى إلى المخابرات العلمية المصرية كجاسوس ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ هناك وسيلة واحدة يا سيِّدى .

نظر إليه القائد الأعلى متسائلاً ، فأردف فى هدوء :

ــ الدكتور (محمد حجازى) .

* * *

تحرك باب حجرة القائد الأعلى فى هدوء ، ودلف منه الدكتور (حجازى) ، وتقدم من القائد الأعلى ، وصافحه قائلا :

ــ خيرًا يا سيِّدى القائد الأعلى .. إنها المرة الأولى التى يتم فيها استدعائى إلى مقر القيادة العليا للمخابرات العلمية ، على وجه السرعة ، فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل .

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول فى هدوء :

ــ إننا لا نستغنى عنك أبدًا يا دكتور (حجازى) .. ولقد استدعيتك فى الواقع لعمل غاية فى الأهمية .

سمع الدكتور (حجازى) صوت باب مكتب القائد الأعلى ينزلق فى هدوء ، ولكنه لم يلتفت إليه ، واكتفى بسؤال القائد الأعلى :

ــ أى عمل هذا ؟

تجاهل القائد الأعلى سؤاله عن عمد ، وهو يتوجَّه ببصره إلى القادم الجديد ، قائلا :

ــ هل أعددت تقريرك أيها الرائد (نور) ؟

ارتجف جسد الدكتور (حجازى) من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، والتفت فى حدَّة إلى حيث يقف (نور) ، وقفز من مقعده ، حينما وقع بصره على وجه هذا الأخير ، وصرخ فى ذهول :

ــ يا إلٰهى .. (نور) ؟.. ألم يلْق حتفه فى ....؟

قاطعه (نور) ، وهو يقول باسمًا :

ــ ماذا تقول يا دكتور (حجازى) ؟ إننى لم أغادر مبنى الإدارة منذ خمسة أيام .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) دهشة ، والتفت بعينيه إلى القائد الأعلى ، وكأنه يبحث عنده عن جواب لهذا الوضع المفاجئ ، ولكن هذا ابتسم ابتسامة غامضة ، وقال فى هدوء :

ــ هل أخبرك سادتك الزُّرق ما يخالف ذلك يا دكتور (حجازى) ؟

ظهر بريق عجيب فى عينى الدكتور (حجازى) ، وهو يغمغم :

ــ سادتى الزُّرق ؟

قال (نور) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ نعم يا دكتور (حجازى) .. أولئك الذين يختبئون فى قلب الأرض ، عند محاجر أسوان .

تبدلت ملامح الدكتور (حجازى) فجأة ، وكشر عن أنيابه فى شراسة ، أذهلت القائد الأعلى ، وخرج من بين شفتيه صوت أجش عميق ، لا يمت بصلة إلى صوته الأصلى ، وهو يقول :

ـ لقد حكمتما على نفسيكما بالإعدام لفضولكما الزائد هذا .

وفى حركة سريعة ، أخرج من جيبه مربعًا صغيرًا شفّافا ، وأطلق منه خيطًا من الأشعة البنفسجية نحو الرائد (نور) .

* * *



٦ ـ العائـد ..

تحرّك (نور) فى سرعة مذهلة ، ربما لأنه كان يتوقّع هذا الهجوم المباغت ، فتفادى الأشعة البنفسجية القاتلة ، التى أصابت باب حجرة القائد الأعلى ، وحوّلته فى لمح البصر إلى كومة من الرماد .. وانقض (نور) على الدكتور (حجازى) ، وأطاح بالمربع الشفّاف بركلة قوية جدًا ، ثم وجّه لكمة قوية إلى فكّ الدكتور (حجازى) ، ولكن هذا الأخير تلقّى قبضة (نور) فى راحته ، وضغطها بقوته التى تضاعفت عدة مرات ، وهو يطلق ضحكة شيطانية عالية ..

شعر (نور) بقبضته تكاد تتحطّم تحت أصابع الدكتور (حجازى) ، التى تحوّلت إلى ما يشبه الفولاذ ، ولكنه جمع قوته كلها فى يسراه ، ووجّه بها لكمة إلى فكّ الدكتور (حجازى) .

أودع (نور) هذه اللّكمة كل كراهيته ، لسيطرة الجنس الأزرق على عقول سكان الأرض ..

كل رغبته فى انقاذ كوكبه ..

كل حزنه مما أصاب رفاقه وزوجته وابنته ..

وجاءت اللّكمة كالقنبلة ، وهشّمت فك الدكتور (حجازى) ، وألقت به بعيدًا ، وأفقدته الوعى على الفور ..

كان حرّاس الأمن قد أسرعوا إلى الحجرة ، حينما رأوا بابها يتلاشى أمام أعينهم ، فوقفوا مذهولين يراقبون ذلك الصراع ، وشاركهم القائد الأعلى دهشتهم وتوتّرهم .. وظل الجميع صامتين بعد أن فقد الدكتور (حجازى) وعيه ، ثم تحرّك (نور) نحوه ، وهو يقول فى جزع :

ـ يا إلٰهى !! لقد تحطّمت فكّه .. أسرعوا باستدعاء طبيب .

تردّد حراس الأمن لحظة ، ولكن إشارة من يد قائدهم الأعلى ، جعلتهم يسرعون لتلبية نداء (نور) ، على حين تناول القائد الأعلى المربّع الشفّاف ، وقلبه فى يده وهو يقول فى دهشة :

ـ يا له من سلاح رهيب !!

ثم رفع رأسه إلى (نور) ، وقال فى رصانة :

ـ مرحبًا بعودتك إلى صفوفنا أيها الرائد (نور) .

* * *

أغلق القائد الأعلى جهاز التليڤيديو الموضوع أمامه ، ثم التفت إلى (نور) ، وقال :

ـ اطمئن يا (نور) .. لقد أمكنهم إسعاف الدكتور (حجازى) ، وسيستردّ وعيه بعد قليل .

غمغم (نور) :

ـ ولكنهم لم يجدوا بعد وسيلة لتخليصه من هذه السيطرة العقلية .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ـ إنهم يعملون ليل نهار يا (نور) ، وسيجدون الوسيلة حتمًا .

أومأ (نور) برأسه ، ثم قال فى لهفة :

ـ هل تسمح لى بالذهاب الآن يا سيّدى ؟

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :

ـ مهلًا يا (نور) ، لقد تأكدنا من شخصك ولا ريب ، واقتنعنا تمامًا بوجود هؤلاء الغزاة الزُّرق ، ولكن هذا لا يبرّر ذهابك إليهم وحدك .

قال (نور) :

ـ هذه هى الوسيلة الوحيدة المضمونة يا سيّدى ، فلن يمكننا إرسال جيش لقتالهم ، إذ أننا ما زلنا نجهل قوة أسلحتهم ،

وأساليبهم القتالية ، كما أننا لا نعلم كم رجلًا جنّدوه فى الإدارة أو بمعنى أدقّ أوقعوه تحت سيطرتهم .

زوى القائد الأعلى ما بين حاجبيه فى استنكار ، على حين تابع (نور) :

ـ لا تنس أنهم نجحوا فى إبدال بطاقتى الخاصة داخل الكمبيوتر ، وهذا يعنى بالضرورة وجود عميل لهم هنا .. ومن يدرى ، فلعله سيكون قائد الحملة التى تنطلق لمهاجمتهم .

برغم ما فى قول (نور) من تجريح ، إلا أن القائد الأعلى لم يسعه الاعتراض ، وترك (نور) يستطرد قائلًا :

ـ الأهم هو أننا لا نعلم عدد وأماكن مراكزهم الأخرى فى العالم ، وربما يؤدى هجوم منظم إلى معرفتهم أننا كشفنا أمرهم ، مما يضطرهم إلى الهجوم المباشر ، الذى ربما يحوّل الأرض إلى مذبحة تسبح فى الكون .

ظل القائد الأعلى صامتًا ، يراجع كل كلمة نطق بها (نور) ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ لابدّ من إلغاء الأوامر الخاصة باعتقالك على الأقل .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ خطأ يا سيّدى .. معذرة .. ولكن إلغاء هذه الأوامر سيشير إلى حدوث تغيير ما ، ونحن نقاتل عدوًّا غاية فى الذكاء ، وربما قاده التغيير إلى استنتاج عودتى إلى صفوف المخابرات العلمية .

وصمت لحظة ، ثم أردف :

ـ لذا ينبغى أن يظل أمر عودتى سرًا لا يتجاوز حجرتك يا سيّدى ، ورجلى الأمن على بابها .

أومأ القائد الأعلى برأسه موافقًا ، وقال :

ـ سيزيد هذا من خطورة موقفك ، ولكن لا بأس ، سأسند إليك المهمة مرة ثانية .

غمغم (نور) :

ـ سأكون عند حسن ظنّك يا سيّدى .

رفع (نور) يده بالتحية العسكرية ، وهمّ بالانصراف ، لولا أن أوقفه القائد الأعلى ، قائلًا :

ـ مهلًا يا (نور) .

استدار إليه (نور) ، فسأله :

ـ لماذا تصرّ على الذهاب إلى هناك وحدك ؟



إستدار إليه (نور) ، فسأله :

ـــ لماذا تصرّ على الذهاب إلى هناك وحدك

صمت (نور) لحظة ، ظهر فيها الحزن واضحًا فى عينيه ، ثم أطرق برأسه قائلًا :

ـــ لأن أقل خطإ قد يُودِى بحياة أقرب الناس إلىَّ يا سيِّدى .

وتابع فى صوت يقطر مرارةً وحزنًا :

ـــ ابنتى .

* * *



٧ ــ لقاء عالمين ..

تنهَّد (نور) فى عمق ، وهو يوقف سيارته عند محاجر (أسوان) ... كان قد قضى ليلة رهيبة ، اضطر فيها إلى التسلُّل عَبْر الصحراء ، تفاديًا لنقاط المراقبة والأمن ، المنتشرة فى كل مكان حول القاهرة ...

وهبط (نور) من سيارته ، وتحرَّك فى خطوات سريعة ، خفيفة ، رشيقة ، نحو مرتفع صخرى كبير .. وهناك أخرج المكعب الصغير ، وضغط الزِّر الصغير فى طرفه ، ثم انتظر حتى تبدَّلت ألوانه ، وقرأ الأرقام المدوَّنة فوقه ، ثم عاد يتحرَّك فى خفَّة القط ، حتى وصل إلى نقطة أخرى ، فعاد يفحصها ، وينتقل إلى ثالثة ، ورابعة .. حتى ظهرت أضواء الفجر ، وبدأت الشمس تصعد فى بطء إلى السماء .. وفى الخامسة والنصف تمامًا ، عثر (نور) على مدخل المركز الجديد للغزاة الزُّرق .

احتاج الأمر لعدد من العمليات الإليكترونية المعقَّدة ، استغرقت حتى السابعة ، حينما نجح (نور) فى عبور مدخل

المركز ، فى نفس اللحظة التى بدأ فيها عمال المحجر يتوافدون للعمل ..

توقَّف (نور) مبهوتًا ، يتطلَّع إلى الممر الممتد أمامه .. كان المثير فى الأمر هو أن ما رآه (نور) أمامه هو نسخة طبق الأصل من المخبإ الآخر فى (أولاد عمرو) ، كما لو أن الغزاة قد رفعوه كتلة واحدة ، وأعادوا زرعه هنا ..

وفى هدوء وحذر ، تحرَّك (نور) نحو القاعة الواسعة فى نهاية الممر ، المضاء بلون أزرق شاحب ، واختلس النظر داخلها فى حذر ..

كان كل شىء كما هو تمامًا فى (أولاد عمرو) .. دقَّة مذهلة .. نفس الترتيب ، والشاشات التى تملأ الجدران ، وتنقل مشاهد من كل أنحاء العالم ، نفس الخريطة الضخمة ، والمزيَّنة بالمصابيح الصغيرة ... كل شىء تمَّ نقله كما هو وعلى نفس النَّسق ، مما يثير الدهشة والإعجاب معًا ..

شىء واحد لم يكن هناك ، ألا وهو الرجال الزُّرق ... لم يكن هناك أثر لأى منهم فى القاعة الواسعة .. حتى أن (نور) تجرأ ، ومدَّ عنقه إلى الداخل ، ولم يكد يفعل ، حتى سمع صوت جسم معدنى ينزلق خلفه ، فاستدار فى سرعة ، ورأى أبواب الممر

كلها تحاط بأسلاك زرقاء، لها نشاط إشعاعى عجيب، وسمع صوتًا ضاحكًا شامتًا، ميَّز فيه صوت (محمود) — رفيقه السابق — يقول ساخرًا :

— مرحبًا بقدومك مرة أخرى أيها الرائد (نور) ، لقد كنا ننتظرك منذ أوقعت الدكتور (حجازى) .

* * *

لم يكن هناك مكان يمكن اللُّجوء إليه ، سوى الباب المؤدى إلى القاعة الكبيرة ، وكل الأبواب الأخرى أغلقها حاجز من الأسلاك الزرقاء .. ولم يكن أمام (نور) سوى الاستسلام ، أو عبور هذا الباب .. وبلا تردُّد عبر (نور) الباب إلى القاعة فى قفزة واحدة ، ولم تكد قدماه تستقران على أرضها ، حتى تبيَّنت عيناه فجأة تلك الأجسام الزرقاء .. عشرات من الغزاة الزُّرق يملئون القاعة .. برزوا من خلف كل الأجهزة فى القاعة ..

وعاون الضوء الأزرق على إخفاء أجسادهم الزرقاء فى البداية ، ثم ظهروا يحيطون بـ (نور) من كل صَوْب ..

ولو أن رجلًا آخر وقف موقف (نور) هذا ، لسقط مغشيًّا عليه من شدة الرعب والفزع .. ولكن (نور) كان قد اعتاد هذه الوجوه الزرقاء ، والعيون الحمراء بلون الدم ، حتى أنها

لم تعد تفزعه ، كما أنه كان يتوقع الموت فى هذه المهمة ، ولم يكن هناك فى رأيه فارق ، ما بين مصرعه على يد رجل أزرق أو أبيض ..

أدهش تماسك (نور) الغزاة الزُّرق ، وتوقفوا يتأملونه وهو يدير عينيه فيهم فى هدوء ، ثم يعقد ساعديه أمام صدره ، ويقول :

— لست أدرى إذا ما كنتم تفهمون لُغتى هذه أم لا ، ولكننى أقول إن وجوهكم هذه لم تعد تخيفنى على الإطلاق .

تبادل الغزاة نظرات حَيْرى ، ثم عادت عيونهم الدموية تلتقى عند جسد (نور) ، الذى تابع قائلًا :

— إننى لم آت مقاتلًا هذه المرة ، وإنما جئت أعرض السلام .

عادوا يتبادلون نظرات الدهشة ، ثم دار بينهم حديث هو مزيج من الهمهمة والصراخ ، قبل أن يعاودوا الالتفات إلى (نور) فى صمت ، ورفع أحدهم ذراعه عن آخرها فوق رأسه ، وهنا تحرَّك باب صغير فى نهاية القاعة ، وظهر على عتبته (رمزى) ، الذى قال فى هدوء وشماتة :

— إن خدعتك لم تنطل عليهم يا (نور) .

ابتسم (نور) فى ضيق وهو يتأمَّل (رمزى) ، قائلًا :

— هل أصبحت المتحدث الرسمى باسمهم يا (رمزى) ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

ـ ولِمَ لا ؟! إنهم لن يجدوا من هو أقدر منّى على فهم مشاعر وأعماق أهل الأرض .. ولا تنس أن دراستى لعلم الملامح البشرية (الفسيونومى) ، على يد الدكتور (حجازى) قد جعلنى خبيرًا فى دراسة البشر .

أخفى (نور) الحنق البالغ فى أعماقه ، وقال فى هدوء :

ـ ولكننى أتيت حقًا أعرض السلام .

أطلق (رمزى) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـ أى سلام هذا ؟ .. لقد أوقعت الدكتور (حجازى) أمس .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ ماذا تعنى بموضوع الدكتور (حجازى) هذا ؟

قال (رمزى) فى تحدٍّ :

ـ لا تحاول الخداع يا (نور) ، كل رجالنا عليهم إرسال إشارة خاصة ، فى مواقيت محدودة ، ولا يمنعهم من إرسالها سوى الموت ، أو أن تعُوقهم عن ذلك قوة تفوق إمكاناتهم ، ومنذ مساء أمس ، توقف الدكتور (حجازى) عن بثِّ إشاراته .. ولمَّا كنت الوحيد الذى يعلم بانتمائه إلينا ، فقد استنتجنا أنك المسئول .

كاد (نور) يتنهَّد فى قوة ، فقد كشفت هذه الكلمات أنهم لم يعرفوا ما أصاب الدكتور (حجازى) بحق ، ولكنه حافظ على جمود ملامحه وهو يتأمَّل الوجوه الزرقاء ، قائلًا :

ـ لقد هزمت الدكتور (حجازى) بحق ، ولكننى تركته فى منزله فاقد الوعى ، وأتيت إلى هنا أعرض السلام .

ظلت العيون الحمراء بلون الدم تحدِّق فى وجه (نور) دون انفعال ، على حين صاح (رمزى) فى حَنَق :

ـ هل تظننا سذَّج إلى هذا الحدّ أيها الرائد ؟ .. إنك لن تبيع كوكب الأرض بأى ثمن كان ...

قاطعه (نور) ، قائلًا :

ـ ولكننى أشترى ابنتى بكوكب الأرض بأكمله .

صمت (رمزى) فجأة ، وظهرت على وجهه علائم التفكير العميق ، ثم قال :

ـ وما الذى يمنعنا من قتلك ؟ .. لقد أتينا بك إلى هنا بسبب ابنتك ، وليس هناك ما يدعونا إلى الإبقاء عليك حيًا .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وقال :

ـ ربما تفعلون بسبب المعلومات الثمينة ، التى يمكنكم الحصول عليها بواسطتى .

سأله (رمزى) :

ــ أى معلوماتٍ هذه ؟

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وقال :

ــ كل أسرار إدارة المخابرات العلمية المصرية يا (رمزى) .

أصابت الدهشة (نور) ، حينما سرت همهمة عجيبة بين صفوف الرجال الزُّرق إثر عبارته الأخيرة ، وتساءل فى قرارة نفسه عما إذا كانوا يفهمون لغتنا ، ورآهم ينقلون أبصارهم بين بعضهم البعض ، ثم عادوا إلى صمتهم ، وقال (رمزى) :

ــ إنهم لا يثقون فيما تقول يا (نور) .

قال (نور) فى برود :

ــ إننى بين أيديهم حتى يثقوا فيما أقول .

ابتسم (رمزى) ابتسامة غامضة ، وقال :

ــ إنهم يقبلون إعطاءك ابنتك ، ولكن بمقابل آخر .

بدأ القلق يسرى إلى أعماق (نور) ، وهو يقول :

ــ أى مقابل هذا ؟

أشار (رمزى) بيده إشارة خاصة ، فعاد الباب الصغير خلفه يُفتَحُ فى هدوء ، وظهر خلفه ظل كبير ، يقبض على كفَّ ظل آخر صغير ، ولم يكد (نور) يتبيَّن الظِّلَّيْن ، حتى هتف فى لهفة :

ــ نشوى !!

كان الظل الكبير هو زوجته (سلوى) ، والصغير هو ابنته (نشوى) ، التى لم تكد تراه حتى صاحت فى سعادة ، وهمَّت بالعدوِ نحوه كعادتها ، ولكن (سلوى) أوقفتها بقسوة ، على حين قال (رمزى) فى دهاء :



ــ المقابل الذى نطلبه هو أنت يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يسأل :

ــ ماذا تعنى بذلك ؟

ارتسمت ابتسامة شامتة على شفتى (رمزى) ، وقال فى هدوء :

ــ سيطلق سراح ابنتك ، مقابل أن تخضع لعملية خاصة ، تسقط بعدها تحت سيطرة السادة الزُّرق تمامًا .

* * *

٨ ـ وداعًا يا (نـور) ..

ظلَّ (نور) صامتًا فترة طويلة من الوقت ، ثم عاد يعقد ساعديه ، ويقول :

ـ وماذا لو أننى رفضت هذا العرض ؟

ابتسم (رمزى) فى شراسة ، وقال :

ـ سيكون هذا من سوء حظك يا (نور) .. فلو أنك رفضت هذا سيكون من المحتَّم أن نقتلك ، ولكن بعد أن ترى بعينيك مشهدًا ، ستتمنَّى معه الموت ألف مرة .. سترى زوجتك وهى تقتل ابنتك .

توتَّرت عضلات وجه (نور) ، وهو يتصوَّر ذلك الفعل البشع ، ولاذ بالصمت فترة طويلة .. وفى هذه الفترة أخذ عقله يعمل كعادته ، فاسترجع كل ما مرَّ به منذ بداية المغامرة .

وحاول أن يستنبط العلاقة بين الغزاة الزُّرق ، وضحاياهم ..

كانت نجاته تتوقَّف ـ حسبما ظن ـ على معرفة نوع هذه العلاقة ..

وكان على عقله أن يعمل فى سرعة ، وقوة ...

ولكن (رمزى) قطع أفكاره ، وهو يقول :

ـ لن نمهلك كثيرًا حتى تتخذ قرارك يا (نور) .. إننا نريد إجابتك الآن .

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وقال :

ـ إن إجابتى هى النفى يا (رمزى) .

ظهرت الدهشة على وجه (رمزى) ، وهو يهتف :

ـ النفى ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ نعم يا (رمزى) .. النفى .. افعلوا ما بدا لكم ، ولكنكم لن تجبرونى على الخضوع لسيطرتكم مهما كان الثمن .

صاح (رمزى) :

ـ سيكون الثمن هو حياة ابنتك .

قال (نور) فى صرامة :

ـ وقوعى تحت سيطرتكم سيعنى أيضًا حياة ابنتى ، وأبناء الآخرين .. سيعنى حياة كوكب الأرض بأكمله .

سرت الهمهمة مرة أخرى بين صفوف الزُّرق ، ثم رفع (رمزى) يده ، وهو يقول فى صرامة :

— لقد حكمت على ابنتك ، وعلى نفسك بالموت .

وفى هدوء ، وبناءً على إشارة (رمـــزى) ، أخـــرجت (سلوى) مسدسها اللّيزرى ، وألصقت فوّهته برأس ابنتها (نشوى) ، التى أخذت تتأمّل أمها فى حَيْرة ، وهى لا تفهم مايدور حولها ، وشعر (نور) بمزيج من الاشمئزاز ، والرغبة فى القىء وهو يتأمّل زوجته ، وهى تهم بقتل ابنتها ، ودارت فى رأسه عدة أسئلة ..

أيّة قوة فى الأرض يمكنها أن تدفع أم إلى قتل ابنتها ؟.

أى نوع من السيطرة هذا ، الذى ينزع الغرائز البشرية من قلوب البشر ؟..

أى أرض ستصبح هذه ، لو نجح هؤلاء الغزاة فى السيطرة عليها ؟..

أى جحيم سيصبح فى ظل احتلال من وراء النجوم ؟..

وفجأة .. دوّى صوت (رمزى) عاليًا ، وهو يقول :

— ودّع ابنتك يا (نور) .. ووداعًا .. وداعًا يا (نور) .

* * *

كان الجميع يتوقّعون أى محاولة من (نور) ، لإنقاذ ابنته (نشوى) ، مهما انطوت هذه المحاولة على المخاطرة والانتحارية ،

وبرغم كل الاحتمالات التى وضعوها ، فإن أحدهم لم يتصوّر تلك الخطوة التى أقدم عليها (نور) ...

فقد ترك (نور) زوجته وابنته ، واستدار إلى الرجال الزُّرق ، وانتزع من جيب سترته ذلك المربع الشفّاف الصغير ، وأطلق دفقة من الأشعة البنفسجية القاتلة ..

عَبَرت الأشعة بين الرجال الـزُّرق ، دون أن تصيب أحدهم ، ثم استقرت فوق أكبر شاشات الرصد ، وحوّلتها إلى رماد مُتناثر .. وهنا أطلق (نور) صرخة عالية ، قائلًا :

— افعلى هذا بابنتك يا (سلوى) .. اقتلى ابنتك أيتها القاتلة .

سقط المسّدس اللّيزرى فجأة من يد (سلوى) ، وظهرت فى عينيها نظرة ذاهلة حائرة ، لم تلبث أن تحوّلت إلى خوف شديد ، وهى تتأمّل الوجوه الزّرقاء ، وكأنها تراها لأول مرة .. ولم يكد بصرها يقع على وجه (نور) حتى هتفت وكأنها تستنجد به :

— (نور) ..!!

وكأنما أتت هذه الصرخة إيذانًا ببدء الصراع .. فلم يكد صداها يتلاشى فى أرجاء القاعة ، حتى اشتعل القتال فجأة ..

أطلق (نور) أشعة المربع البنفسجية على أربعة من الغزاة ، ولم ينتظر حتى يتلاشوا ، بل قفز فى رشاقة إلى المنصة التى يقف فوقها (رمزى) ، الذى حاول أن يلكمه ، ويلقى به ثانيةً وسط القاعة .. ولكن (نور) تفادى لكمة (رمزى) ، ومال جانبًا ، ثم غاص إلى أسفل ، وانقض فى لكمة كالقنبلة على فكّ (رمزى) ، ثم أعقبها بثانية فى معدته ، وثالثة بين عينيه ، وصرخت الصغيرة (نشوى) ، وقد تملّكها فزع جنونى ، عندما رأت والدها فى هذا القتال العنيف ، وطفقت تبكى فى تشنُّج ، على حين احتضنتها (سلوى) فى حنان وتوتُّر وخوف ، وهتفت تنادى (نور) :

— من هنا يا (نور) .. هذا الباب يقود إلى الخارج .

قفز (نور) إلى (سلوى) ، وجذبها وهى تحمل ابنتها ، عَبْر الممر الطويل الذى يقود إلى الخارج ، وانطلقا يجريان ، وكأن أشباح الأرض كلها تطاردهم ، حتى رأوا السماء المضيئة أمامهم ، وبهر نور الشمس عيونهم فى اللحظات الأولى ، ثم هتفت (سلوى) فى سعادة :

— يا إلهى !! لقد نجونا .

التقط (نور) ابنته ، وضمّها إلى صدره ، وأخذ يقبّلها فى سعادة ، على حين قالت (سلوى) :

— كيف يمكننى أن أشكرك يا (نور) .. لقد حرّرتنى من سيطرتهم ، وأنقذت ابنتنا .

تطلّع إليها (نور) فى حنانٍ ، وحُبّ ، وربَّت على كتفيها ، وهو يقول :

— كانت مخاطرة شديدة يا عزيزتى ، ولكن الأمر كان يستحق ، فقد تذكرت قول البروفيسير (عمّار) (رحمه الله) ، حينما أخبرنى أن التحرُّر من مثل هذه السيطرة العقلية ، يحتاج إلى صدمة ، وكشفت فى الوقت نفسه نوع العلاقة التى تربط الغزاة بضحاياهم .. إنها تلك الإشارات التى تحدَّث عنها (رمزى) ، فيما يخص الدكتور (حجازى) ، لم تكن إشارات لاسلكية ، أو إليكترونية ، وإنما هى إشارات عقلية ، تربط الغزاة بضحاياهم ؛ لذا قال (رمزى) إنه لا يوجد سوى الموت يمنع الضحية من إرسال الإشارة .

تحسَّست شعره فى حنان ، وهى تقول :

— يا لَكَ من عبقرى يا (نور) !!

ابتسم وهو يتابع ، قائلًا :

— كان إقدامك على قتل ابنتنا يمثل صدمة كافية لك ، لو أنك تحرَّرت من سيطرتهم لجزء من الثانية ، وهذا ما حاولته ،

حينما شتت انتباههم بالأشعة التى أطلقتها على راصدهم ، ثم صرخت أخرجك من إطار السيطرة .. كنت أراهن بحياتى وحياة ابنتنا ، ولقد نجحت .

ثم أردف وهو يسرع الخطا :

ــ وأعتقد أنه علينا أن نبتعد كثيرا حتى لا يلحقوا بنا .

صاحت (سلوى) :

ــ اطمئــــن يا (نور) .. لن يمكنهم الخروج فى ضوء الشمس .

التفت إليها وسألها فى اهتمام :

ــ لماذا تقولين هذا يا (سلوى) ؟

قالت فى انفعال :

ــ إن أجسادهم لا تحتمل أشعة شمسنا ، فلقد أتوا من كوكب مظلم تقريبًا ، وجلودهم تحترق مع أشعة الشمس ، إنهم كالخفافيش ، لا يرون ، ولا يعيشون إلَّا فى الظلام .

عقد (نور) حاجبيه ، وقال وكأنه يكرِّر ما سمعه منها :

ــ لا يعيشون إلَّا فى الظلام .. ولا يحتملون ضوء الشمس .

ثم تهلَّل وجهه ، وصاح فى حماس :

ــ يا إلهى !! هذا يحل كل شىء يا (سلوى) .. هذا يعطينا القدرة على الانتصار .

سألته وهى تلهث من شدة الانفعال :

ــ ماذا تعنى يا (نور) ؟

أطلق ضحكة جذلة عالية ، وهو يقول :

ــ يبدو أن المعــركة قد وصلت إلى لحظـــاتها الأخيرة يا (سلوى) ، سينتصر كوكب الأرض على الغزاة ، ستنتصر شمسنا عليهم و ....

قطع عبارته صوت صارخ يقول :

ــ هذا التفاؤل سابق لأوانه يا (نور) ، إنما هى نهايتك ونهاية زوجتك وابنتك .

استدار (نور) و (سلوى) إلى مصدر الصوت فى جزع ؛ وهالهما مرأى عدوّهما .. فقد كان الذى يهدّدهما بالقتل (رمزى) و (محمود) .. عضوا الفريق السابق .

* * *

٩ ـــ قتال بلا رحمة ..

تأمَّل أفراد الفريق بعضهم البعض فى صمت ، ثم قال (رمزى) :

ـــ ربما كان سادتنا الزُّرق لا يحتملون ضوء الشمس ، ولكننا لسنا كذلك ، ولن نسمح لكما بالخروج من هنا أحياء .

تفجَّر الغضب الذى تموج به أعماق (نور) على لسانه ، وهو يقول :

ـــ سادتكم الزُّرق ؟!.. أفيقا قبل أنْ يتحوَّل هؤلاء المسوخ الزُّرق إلى سادتكم وسادة الأرض بحقّ .. قاوما سيطرتهما العقلية عليكما ، عودا إلى طبيعتكما الأصلية .

كانت الإجابة التى تلقَّاها (نور) هى دفقتين من أشعة اللِّيزر ، مزَّقت إحداها كُمّ سترته ، ومرقت الأخرى على بعد سنتيمتر واحد من رأس ابنته .. وكان فى هذا ما يكفى لتفجير أعصابه ، فصرخ وهو ينقض فى جرأة منقطعة النظير ، على (رمزى) و (محمود) :

ـــ انطلقى يا (سلوى) ، لا تتوقفى عن الجرى مهما كانت الأسباب ، ولا تنظرى خلفك .

تردَّدت (سلوى) لحظة ، وقلبها يرتجف لوعةً وجزعًا على زوجها ، ثم شعرت أنها بذلك تعرِّض ابنتها للموت ، وتحطِّم الجدوى من مبادرة (نور) ، فانطلقت تجرى مبتعدة وهى تهتف فى لوعة :

ـــ يا إلهى !! (نور) .. ساعده يا إلهى .

أما (نور) ، فقد تفادى دفقة أخرى من الأشعة ، ثم قفز نحو (رمزى) ، وهوَى بقبضته على معصم هذا الأخير ، فأطاح بمسدسه الليزرى ، ودار على عقبيه مطيحًا مسدس (محمود) بركلة مُحْكَمة ، ولكن هذا الأخير لكم (نور) لكمة قوية فى صدره ، أعقبها بأخرى فى معدته ، على حين قفز (رمزى) ، مطوِّقًا (نور) من الخلف بذراعين تضاعفت قوتهما .. ولكن (نور) أدار كفَّه إلى ما خلف ظهره ، وقبض على ياقة سترة (رمزى) ، ثم رفعه من خلف ظهره ، وألقاه أمامه بحركة بارعة من حركات رياضة الجودو ، وقفز (رمزى) واقفًا على قدميه فى رشاقة أدهشت (نور) ، وعاود الانقضاض بمعاونة (محمود) ..

كان هذا من أشق الأمور التى واجهت (نور) نفسيًا ، فهو بطبعه يكره العنف والدمار ، ولا يميل إلى استخدام قوته لحل الأمور ، برغم ما يتمتع به من لياقة بدنية عالية ، وإجادة تامة لفنون القتال ، شأنه شأن كل من ينضم إلى المخابرات العلمية المصرية ، وهو فى هذه المرة لا يقاتل أعداءً ، بل اثنين من أصدق أصدقائه فيما سبق ، وهو يعلم أنهما واقعان تحت سيطرة عقلية ، ألغت مشاعرهما السابقة ، وملأتهما بالكراهية والحقد تجاهه ، وتجاه كل سكان مصر .. بل كل بشرىّ على وجه الأرض .

كان عليه أن يتجاهل صداقتهما السابقة ، وكراهيته للعنف والدمار ..

وعليه أن يقاتلهما كعدوّين ، وأن يحاربهما بشراسة ..

من أجلهما .. ومن أجل مصر .. ومن أجل كوكب الأرض بأكمله ..

وقاتلهما (نور) بكل ما يملك من قوة ..

تفادى لكمة قوية من قبضة (محمود) ، وغاص إلى أسفل متفاديًا لكمة أخرى من قبضة (رمزى) ، ثم نهض موجّهًا لكمة كالقنبلة إلى فكّ (محمود) ، الذى ترنّح وسقط أرضًا ، ثم استدار إلى (رمزى) ، ولكمه فى معدته بكل ما يملك من قوة ،



كان عليه أن يتجاهل صداقتهما السابقة ، وكراهيته للعنف والدمار وعليه أن يقاتلهما كعدوّين ، وأن يحاربهما بشراسة ..

وعاد يلكمه بين عينيه ، وفى فكه ، ولمّا رآه يترنّح ، عاجله بلكمة رابعة فى صدره تهاوَى لها (رمزى) .

انحنى (نور) يلتقط مسدس (رمزى) ، حينما اخترقت ذراعه اليمنى أشعة ليزر قوية ، وتدفَّقت الدماء من جرحه ، فاستدار بسرعة ، ورأى (محمود) الذى استعاد وعيه ، يصوِّب إليه مسدسه الليزرى ، ليطلقه مرة ثانية .. ولكن (نور) قفز جانبًا متفاديًا الأشعة القاتلة ، ثم نقل مسدس (رمزى) إلى كفه اليسرى ، وأطلق أشعته نحو مسدس (محمود) ، فأذاب كرة الطاقة به ، وتغلَّب على ألمه وهو يقفز نحو (محمود) ، ويركله فى فكِّه ركلة قوية ، جعلت رأس (محمود) يرتطم بالصخر خلفه ، فيسقط فى غيبوبة عميقة ، وتسيل الدماء من فروة رأسه ..

شعر (نور) بقلبه يتمزَّق مما فعله بصديق عمره ، ولكنه كان يعلم أن كل دقيقة تضيع قد يكون ثمنها عمر الأرض كلها ، فترك صديقيه السابقين ، وانطلق يجرى متجاهلًا الدماء التى تسيل من جرحه ، نحو منطقة المحاجر ..

* * *

كان عمال المحاجر منهمكين فى أعمالهم ، حينما صاح أحدهم فى دهشة :

— يا إلٰهى !! انظروا يا رجال !!

استدار العمال إلى حيث أشار زميلهم ، واتسعت عيونهم دهشة ، فقد رأوا (سلوى) تعدُو ناحيتهم وهى تحمل طفلتها الصغيرة ، وعلى وجهها أبشع آيات الرُّعب والهلع ..

أسرع الجميع إليها مدفوعين بالشهامة المصرية المعروفة ، ولم يكد أولهم يقترب منها حتى صاحت فى ذعر :

— أنقذوه .. أنقذوا زوجى .. إنهم سيقتلونه .

نظر إليها الجميع فى دهشة ، وهتف أحدهم :

— ما الذى أتى بك إلى هنا يا سيِّدتى ؟ وماذا كنت تفعلين خلف هذا المرتفع الصخرى ؟

صاحت وهى تبكى ، وتشير إلى المرتفع الصخرى فى رعب :

— أسرعوا أولًا هناك ، سيقتلون زوجى .

ربَّت أحدهم على كتفها محاولًا تهدئة روعها ، وسألها :

— من هو زوجك يا سيِّدتى ؟.. ومن هؤلاء الذين يسعون إلى قتله ؟

صرخت فى مرارة :

— أصحاب البشرة الزرقاء .. غزاة الأرض .. أسرعوا بالله عليكم .

تبادل العمال النظرات فى دهشة ، وهزَّ بعضهم رأسه فى إشفاق ، وقد تصوَّر أن (سلوى) مصابة بالجنون ، على حين قال آخر :

ــ اهدئى يا سيّدتى ، سننقذ زوجك .. اطمئنّى .

ولم يكد يتم عبارته حتى صاح آخر :

ــ يا إلهى !! ها هو ذا

استدار الجميع إلى المرتفع الصخرى ، فرأوا (نور) يسرع نحوهم ، وذراعه تقطر دمًا ، ووجم الجميع وهم يراقبون ما يحدث .. ولم يكد (نور) يقترب منهم ، حتى صاح أحدهم فى ذهول :

ــ يا إلهى !! إنه ذلك القاتل المحتال ، الذى تظهر صورته يوميًا على شاشة (أنباء الفيديو) .. إنه ذلك الرجل الذى يطلبون إلقاء القبض عليه صباحًا ومساءً .

تألقت عيون العمال جميعهم ببريق المعرفة ، والتقت مشاعرهم جميعًا عند (نور) ، وكانت كلها تفيض بالعداء .

* * *

١٠ ــ الموت من أجل الحياة ..

شىء ما أوقف قدمى (نور) فجأة ، ومنعه من مواصلة العَدْو على بعد أمتار قليلة من عمال المحاجر ..

ربما هى نظرات العَداء التى تفيض من عيونهم ..

أو هى تلك القبضات المضمومة والمستعدة للقتال ..

أو هو ذلك التحذير الذى انطلق فجأة من عقله الباطن ..

ربما كان هذا أو ذاك .. المهم أن (نور) توقَّف ..

أشار (نور) بيده التى تمسك المسدس الليزرى ، نحو المرتفع الصخرى ، وقال :

ــ إننى أحتاج إلى معاونتكم يا رجال لإنقاذ الأرض .

تصاعدت من وسط العمال صيحة تقول :

ــ إنه هو ولا ريب ..

وأعقبتها ثانية :

ــ لا تدعُوه يخدعكم .

اندفعت (سلوى) نحو زوجها ، وتحسَّست ذراعه المصابة فى جزع ، وهى تهتف :

ـــ ماذا أصابك يا (نور) ؟

ربَّت (نور) على كتفها مهدِّئًا ، دون أن تفارق عيناه ذلك الجمع ، الذى يزيد على مائة عامل ، وسمع أحدهم يهتف محنقًا :

ـــ حطِّموه يا رجال .. أسرعوا بإلقاء القبض عليه .

صرخت (سلوى) فى وجوههم :

ـــ ماذا تقولون أيها الحمقى ؟.. هذا الرجل هو أملكم الوحيد فى حياة حرة كريمة .. إنه يقتطع جسده قطعة قطعة من أجل كوكب الأرض .

ارتسمت الدهشة فى وجوه بعض العمال ، وارتسمت السخرية على شفاه البعض الآخر ، ثم انطلقت من وسطهم صرخة :

ـــ لا تتسمَّروا هكذا .. ألقوا القبض عليهما .

سرت تلك الصيحة الأخيرة كالنـار فى الهشيم ، وسط العمال ، فانطلق من حناجرهم صراخ واحد قوى ، غير مفهوم ، واندفعوا نحو (نور) و (سلوى) .

* * *

كان من المؤلم أن يفشل (نور) بسبب المصريين ، بعد أن قطع كل هذا الشوط ..

بعد أن أعاد انتماءه الرسمى إلى المخابرات العلمية المصرية ..

بعد أن حرَّر زوجته من سيطرة الغزاة ..

بعد أن أنقذ ابنته ..

لم يكن هناك مجال للاستسلام ، وكان لابدَّ أن يقاتل ، حتى ولو قتل العشرات ، لابدَّ له من أن يقتل فى سبيل الحياة .. حياة كوكب بأكمله ..

وبلا تردُّد .. رفع (نور) فوّهة المسدس الليزرى فى وجوه العمال المائة ، وانطلقت أشعة الليزر تشق الهواء مرة ، وثانية ، وثالثة ، وعاشرة .. وسقط عشرة رجال بإصابات مختلفة ليست بينها واحدة قاتلة ، وتوقَّف الآخرون وقد رأوا أن خصمهم مستعد للقتال حتى آخر أنفاسه .. وظل مسدس (نور) مصوَّبًا إليهم ، وذراعه الأخرى تصنع بركة من الدماء أسفلها ، وبدا الموقف مشحونًا بالخطر للغاية ، حتى أن (نور) رأى حسمه بسرعة ، فقال بلهجة آمرة :

ـــ أريد بعض الأقراص المتفجِّرة على الفور .

لبَّى أحد العمال الأمر ، وأحضر عددًا لا بأس به من الأقراص المتفجِّرة ، وجهاز التفجير الصغير الخاص بها ، على حين بقى الآخرون يزمجرون ، ويهمهمون ، دون أن يقدم

أحدهم على مهاجمة (نور) مرة أخرى ، بل إن البعض الآخر انشغل فى تضميد جراح المصابين العشرة ، دون أن يحاول واحد منهم مداواة جراح (نور) ، الذى تناول الأقراص المتفجِّرة ، وجهاز التفجير ، وهو يقول :

— صدِّقونى .. كل هذا من أجلكم .

ثم ناول المسدس الليزرى إلى (سلوى) ، وقال :

— لا تتردَّدى فى إطلاق أشعته يا عزيزتى ، وصدِّقينى .. كل هذا من أجل كوكب الأرض .

غمغمت وهى تتأمَّل ذراعه المصابة فى قلق :

— دعْنا نضمد جراحك أولًا يا (نور) .

ابتسم فى مرارة ، وهو يقول :

— حينما ننتهى يا عزيزتى .

ثم انطلق يعدُو عائدًا إلى المرتفع الصخرى ، وعيون الجميع تتابعه فى حَيْرة ودهشة ، دون أن يخطر ببال أحدهم أن هذا الشاب ، هو أفضل مخلوق على وجه الأرض ، فى الوقت الحالى ..

* * *

نسى (نور) أو تناسى جرحه الغائر ، والدماء التى تنزف

منه بَغزارة ، وانهمك فى تثبيت الأقراص المتفجِّرة ، وهو يرتِّبها على نحو مدروس ، وانطلق عقله يراجع الخُطَّة التى يعتمد عليها فى عمله هذا ..

كان يعلم أن الغزاة الزُّرق لا يحتملون ضوء الشمس ؛ لذا فقد قرَّر أن ينسف سقف وكرهم تمامًا ، بحيث تغمرهم أشعة الشمس ، وتقضى عليهم ..

دار فى خَلَدِه أن هذا ما يحدث عادةً فى أفلام مصاصى الدماء ، ثم عاد ينفض هذا الرأى وهو يغمغم :

— إن ما تعيشه حقيقة يا (نور) .. حقيقة تثير الفزع أكثر من الخيال ..

جفَّف عرقه بعد أن انتهى من عمله ، ونهض يتأمَّل العمل فى اهتمام ، وعاد يغمغم :

— سيتناثر السقف قطعًا صغيرة ، وأعتقد أنه لن يؤذى أحدًا من أهل الأرض .

ثم استدار عائدًا ، وفى نفس اللحظة اخترقت فخذه اليسرى أشعة ليزر قوية ، فتخاذلت ساقاه ، وسقط على ركبتيه ، ورفع عينيه يتطلَّع فى دهشة إلى مهاجمه ، فوجده (رمزى) وقد استعاد وعيه ، وعيناه تطلَّان بالشرِّ ، وهو يقول فى صوت جهورى ناقم :

— لن تنجح فى هذا ، ما دام فى جسدى عرق ينبض .

ثم أردف وهو يصوِّب مسدسه الليزرى مرة ثانية نحو (نور) المصاب ، الأعزل :

— سأقتلك يا (نور) .. سأقتلك من أجل حياة سادتى الزُّرق .

* * *



١١ ـ الخطوة الأخيرة ..

صرخت (سلوى) ، حينما شاهدت (رمزى) يهاجم زوجها الأعزل ، فتركت ابنتها أمام العمال ، الذين تملَّكتهم الدهشة ، وصاحت وهى تعدُو نحو المرتفع الصخرى .

— إنى آتية يا (نور) ..

انفجرت الصغيرة تبكى ذعرًا وجزعًا مما يحدث ، على حين تسمَّر عمال المحاجر ، ولم يحاول أحدهم التدخل فيما يحدث ، وقد حارت عقولهم فيه ..

وفى نفس الوقت ، أطلق (رمزى) دفقة أخرى من الأشعة نحو (نور) ، الذى دفع جسده بساقه السليمة ، متفاديًا مسار الأشعة القاتلة ، وسمع (رمزى) يقول فى غيظ :

— لن تنجو طويلًا يا (نور) .. سأقتلك إن عاجلًا أو آجلًا .

دارت بخلَد (نور) فكرة واحدة فى هذه اللحظة .. أن ينسف السقف ، فيتعرَّض الغزاة الزُّرق لضوء الشمس ، ويفقدون سيطرتهم العقلية على (رمزى) ، وكانت هذه الخطوة

تعنى موته حتمًا ، فهو يجلس فوق السقف الذى يريد نسفه تمامًا .

وبرغم هذا اتخذ (نور) قراره بنسف السقف ، لولا أن وقع بصره على (سلوى) التى تعدو نحوه فى جزع .. وهنا انتفض جسد (نور) فى قوة ، وخشى أن ينسف السقف ، فتصاب (سلوى) ببعض الشظايا المتناثرة ، وخشى أيضًا أن ينتبه إليها (رمزى) ، فيرميها بأشعة مسدسه .. وكان لا بدَّ من الاستئثار بانتباه (رمزى) تمامًا ..

حمل (نور) صخرة كبيرة بيسراه ، وألقى بها نحو (رمزى) فى قوة ، ولكن هذا الأخير تفاداها فى مهارة ، وأطلق أشعته فى إحكام ، واخترقت الأشعة ساعد (نور) اليسرى هذه المرة ، فصرخ :

ـــ كفى يا (رمزى) ، عُدْ إلى وعيك .

أطلق (رمزى) ضحكة ساخرة عالية ، ثم أطلق مسدسه مرة ثالثة ، وجاءت الأشعة هذه المرة بين قدمى (نور) ، الذى تعلّق بصره بزوجته (سلوى) ، التى أصبحت على بعد أمتار قليلة من (رمزى) ، ورآها تتوقف ، وتصوّب مسدسها إلى هذا الأخير ، فصرخ :

ـــ كلّا يا (سلوى) .. لا تقتليه .

استدار (رمزى) بسرعة مع هذا التحذير ، وشهر مسدسه فى وجه (سلوى) ، ولكن أشعة مسدسها هى كانت الأسبق ، واخترقت صدر (رمزى) ، الذى جحظت عيناه لحظة ، ثم سقط دون حراك .

* * *

قفز (نور) على ساق واحدة نحو زوجته ، التى بدت ذاهلة واجمة وهى ما تزال تصوّب مسدسها إلى حيث سقط (رمزى) ، وعلى وجهها علامات أسى وحزن وخوف ورعب .. ولم يكد (نور) يقترب منها حتى غمغمت ، وهى تتطلّع إليه فى ضراعة :

ـــ لقد كان ذلك ضروريًا يا (نور) ، لقد كنت أنقذك منه .. أليس كذلك ؟

ربّت على كتفها ، وقال فى صوت مشفق :

ـــ نعم يا عزيزتى .. كان هذا ضروريًا .

ثم اعتمد بذراعه على كتفها ، وقال :

ـــ هيّا بنا نبتعد عن هنا ، فلا ريب أن إشارات عقل (رمزى) قد توقفت ، وسيعلم هؤلاء الغزاة أننا هزمنا من أرسلوهما خلفنا ، ولا أحد يدرى ما يمكن أن يقدم عليه هؤلاء الزُّرق .

سألته وهى تعاونه على الابتعاد ، بساق مصابة ، وذراعين عاجزتين :

ـ ألن تؤدى خطتك هذه إلى تحذير باقى مراكزهم فى العالم ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلَّا يا عزيزتى ، سينفجر السقف حقًا ، ولكن خريطتهم ستبقى سليمة ، وسنحذر العالم أجمع فى دقائق معدودة .. ولتكن حربًا معلنة ، بدلًا من غزو خفىّ .

توقفت (سلوى) وهى ترى العمال يتوجَّهون إليهم ، وقالت :

ـ تُرى .. للمعاونة قدموا أم للمقاتلة ؟

وفجأة .. جاءت من خلفها دفقة من أشعة الليزر ، أذابت فوَّهة مسدسها ، فالتفتت هى و (نور) فى فزع ، واتسعت عيونهما دهشةً ، فقد كان (رمزى) منتصبًا هناك ، حيث سقط من قبل ، والدماء تسيل من ثقب فى جانب صدره الأيمن ، وفوق عينيه نفس نظرات الحقد والكراهية ، ومسدسه مصوَّب إليهما ..

دفع (نور) زوجته بعيدًا ، وحاول أن يقفز جانبًا ، ولكن محاولته أتت متأخرة ، إذ أصابت أشعة الليزر الثانية التى أطلقها

(رمزى) جانبه ، ومرقت منه إلى ما خلف ظهره ، واندفعت دماء قوية غزيرة من الثقب الحادث ..

لم يحتمل جسد (نور) ـ برغم قوته ـ كل هذه الإصابات ، ولا كل هذه الصدمات ، والمفاجآت ، فسقط أرضًا ، وأفلت من أصابعه جهاز التفجير الذى سقط تحت قدمى (سلوى) ، ورفع رأسه فى ضعف ، فرأى (رمزى) يصوِّب مسدسه إلى (سلوى) ، وهو يهم بقتلها أيضًا ، فصاح فى جزع :

ـ جهاز التفجير يا (سلوى) .. انسفى السقف .

انحنت (سلوى) فى سرعة ، والتقطت جهاز التفجير ، وتفادت بهذه الانحناءة المفاجئة أشعة الليزر التى أطلقها (رمزى) نحوها ، وسمعت (نور) يصرخ فى ضعف :

ـ انسفى السقف يا (سلوى) .

وفى توتُّر بالغ ، وانفعال شديد ، ضغطت (سلوى) الزرَّ الأحمر فى جهاز التفجير ، ودوَّى فى منطقة المحاجر انفجار يصم الآذان .

* * *

تسمَّر عمال المحاجر فى ذهول حينما دوَّى الانفجار ،

وتصلَّب (رمزى) فجأة ، كما لو كان جهازًا انتزع مصدر طاقته ، ثم سقط المسدس الليزرى من يده ، وهوى متكومًا على الأرض ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها من التجويف الناشئ عن الانفجار صوت ، ارتجف له قلب (سلوى) ، وقلوب عمال المحاجر جميعهم ..

صوت كأنين قطيع من الأفيال دفعة واحدة ..

أو هو صرخة ألم وعذاب من حناجر سكان مدينة كاملة ..

المهم أنه أكثر الأصوات المعبِّرة عن الألم واليأس رعبًا فى الكون ..

واستمرت هذه الأصوات دقائق طويلة ، حتى أن عمال المحاجر أسرعوا إلى الفجوة التى أحدثها الانفجار ، وفضولهم يسبق قلقهم .. ولم يكد بعضهم يتطلع إلى الداخل ، حتى تراجع فى رعب ، ثم ملكه الاشمئزاز ، وأخذ يقىء فى قوة .. ولمَّا أراد الآخرون معرفة ما أصابه ، سرت فيهم الأعراض نفسها .. فهناك فى ذلك التجويف رقد عدد من الرجال زُرق البشرة ، حُمر العيون ، وقد تصاعدت من جلودهم أبخرة خضراء ، وجحظت عيونهم الدموية ، وكأن أشعة الشمس تشويهم شيًّا .

وأسرعت (سلوى) نحو زوجها ، الذى رفع رأسه إليها فى ضعف ، وقال :

ـــ أحضرى (نشوى) .

أسرعت (سلوى) تحضر ابنتها الصغيرة ، التى تشبَّثت بعنقها فى ذُعر ، وحملتها إلى (نور) ، الذى ابتسم ابتسامة شاحبة ، كوجهه الذى حاكى وجوه الموتى ، وهو يتحسَّس شعر ابنته ، ثم قال فى اهتمام :

ـــ لقد نجحنا يا (سلوى) .. ستنمو ابنتنا فى كوكب حرّ .

بكت (سلوى) ، وهى تقول :

ـــ لا تتحدَّث طويلًا يا (نور) ، استرح و ....

قاطعها قائلًا :

ـــ لابدَّ من إبلاغ إدارة المخابرات العلمية على الفور .. استخدمى جهاز التليفيديو فى حجرة مدير المحاجر ، لابدَّ يا (سلوى) .

قالت وهى تحاول منع دموعها التى سالت غزيرة :

ـــ سأفعل يا (نور) ، سأفعل على الفور .. أعدك بذلك .. سيعود كل شىء كما كان يا (نور) .. كل شىء .

ابتسم ابتسامة واهنة ، وقال فى صوت أقرب إلى الهمس :

ـــ كل شىء ؟!.. كيف يا عزيزتى ؟.. الدكتور (حجازى) ،

و (رمـزى) ، و (محمـود) ، والدكتـور (صبرى) ، والبروفيسير (عمّار) .. كلّا يا عزيزتى ، لقد تغيَّر كل شىء ، ولن نعود أبدًا كما كنّا .. لن نعود أبدًا يا (سلوى) .

انتهى من عبارته ، ثم أغلق عينيه وتراخى جسده تمامًا ، وانطلقت صرخة ألم وذُعر من أعماق (سلوى) ..

* * *



١٢ ــ الختـام ..

ارتفعت زقزقة الطيور حول المستشفى الطِّبِّىّ الفاخر فى قلب القاهرة ، وأشارت عقارب الساعة إلى السابعة صباحًا ، عندما عَبَر الدكتور (فؤاد عيسى) أحد ممرَّات المستشفى الضخمة ، حتى توقف أمام ردهة الانتظار ، وتعلَّقت عيناه بشابة تحمل طفلة صغيرة ، وتجلس شاردة فى أحد مقاعد ردهة الانتظار ، فاقترب منها ، ومدَّ يده يصافحها قائلًا :

ــ صباح الخير يا سيِّدة (سلوى) ، لعلك تذكرينني .. أنا الدكتور (فؤاد عيسى) .

رفعت إليه عينين جامدتين ، وتأمَّلته لحظة ، ثم غمغمت :

ــ وكيف لا أذكرك يا دكتور (فؤاد) ؟!.. لقد بدأت القصة كلها من عندك .

جلس على المقعد المجاور لها صامتًا ، وقال بعد فترة تتجاوز الدقائق العشر :

ــ إننى أدين للرائد (نور) بالفضل ، فى تبرئتى من تهمة القتل هذه يا سيِّدتى .

ابتسمت ابتسامة شاحبة دون أن تنطق بكلمة ، فشعر الدكتور (فؤاد) ببعض الحرج ، وسألها فى صوت خافت :

— كيف حاله ؟!.. كيف حالهم جميعًا ؟

هزّت رأسها فى أسف وأسى ، وشعر هو أنها تبذل مجهودًا خارقًا لتتحدث ، حتى أنه مضت فترة طويلة من الوقت ، قبل أن تقول :

— حمدًا لله على هذه النهاية .

ثم بدا وكأنها ضاقت بما يجيش به صدرها ، فانفجرت باكية ، وهى تقول :

— تصوَّر أننى كدت أقتل (نور) أكثر من مرة ، وأنا تحت سيطرة هؤلاء المسوخ الزُّرق .. بل إننى كدت أقتل ابنتى نفسها ، و (محمود) قتل الدكتور (صبرى) ، و (رمزى) والدكتور (حجازى) كادا يقتلان (نور) مرتين على الأقل ، ماذا أصابنا جميعًا ؟. لقد لاقى (نور) منّا الكثير .

هدّأ الدكتور (فؤاد) روعها ، وقال :

— لم يكن أحدكم فى وعيه يا سيّدتى ، وليس المرء بمسئول عما يفعله خارج نطاق عقله الواعى .

أومأت برأسها وهى تجفف دموعها ، قائلةً :

— ربما كنت على حق .

عاد يستطرد ، وكأنه يمحو من نفسها الحزن :

— لقد تعاون العالم كله كيد واحدة لأول مرة منذ بدء الخليقة .. فلم تكد مصر تبلغ دول العالم بوجود الغزاة الزُّرق ، وترسل إلى كل دولة خريطة تبيّن مواقع الغزاة فى أرضها ، حتى شنَّ العالم هجومًا واحدًا مركزًا ، على كل مواقع الزُّرق ، ودكَّها دكًّا ، مما حكم على محاولة غزو العالم بالفشل .. بل لقد أفاد العالم كثيرًا بالعلوم المتطوّرة لهؤلاء الغزاة ، وسيعمل جاهدًا لمنع أى غزو آخر فى المستقبل .

غمغمت وكأن الأمر لم يعد يعنيها :

— هذا حسن .

ابتسم الدكتور (فؤاد) فى حزن ، واستطرد :

— ولقد كان للمعلومات التى جمعها (نور) الفضل الأوّل فى القضاء على الغزاة الزُّرق .. ولقد منحته كل دول العالم وسام الشجاعة من الطبقة الأولى ، وأقيمت له التماثيل فى مختلف عواصم العالم .. إن شابًا فى عمره لم يبلغ مثل هذه الشهرة قط .

غمغمت فى سخرية مريرة :

— عمره ؟!!

شعر الدكتور (فؤاد) بالقلق يسرى فى أعماقه ، فهتف :

ـــ خبّرينى ما أصابه بحقّ السماء .

رفعت إليه (سلوى) عينين حزينتين ، وقالت وهى تضم ابنتها وكأنها تجد العزاء فى قربها :

ـــ الدكتور (حجازى) و (محمود) هما أقل المصابين ، ولقد خيط فك الأول ، وعولج رأس الثانى .. ولكن (محمود) مصاب بانهيار عصبى عنيف ، فقد كشف فور تحرُّره من سيطرة الزُرق ، أنه قد تحوَّل يومًا إلى قاتل ، والدكتور (حجازى) مصرّ على التقاعد ، وهو يدَّعى أنه لم يعد يصلح للعمل طبيبًا شرعيًّا ، بعد أن حارب العالم كله ، وحاول قتل (نور) ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية .. أما (رمزى) فإصابته خطيرة نوعًا ما ، فقد أطلقت عليه أنا أشعة الليزر ، وكدت أقتله ، لولا أن مرقت الأشعة على بعد سنتيمترات من قلبه ، ولم تمزّق أيًا من الأوعية القلبية الكبيرة ، والأطباء يقولون إنه سيشفى .

سألها الدكتور (فؤاد) ، وقد بلغ توتُّره ، وقلقه مبلغيهما :

ـــ و (نور) ، ماذا أصاب (نور) ؟

تطلَّعت إليه فى صمت ، وسالت من عينيها دموع غزيرة ، وهى تقول :

ـــ لا أحد يدرى ماذا أصابه ؟ ولا ماذا يمكن أن يصيبه ؟ فهو فى غيبوبة عميقة منذ أسبوع كامل ، وهم يقولون إن نشاط مخه طبيعى ، وإن أجهزة جسمه ، ومراكزه الحيويّة تعمل فى كفاءة ، ولكنه فاقد الوعى ، وهذه هى الحالة الأولى من نوعها فى العالم .

سألها الدكتور (فؤاد) فى دهشة :

ـــ ماذا يعنى هذا ؟

أجابته وهى تهزّ رأسها نفيًا :

ـــ لست أدرى يا سيِّدى .. لا أحد يدرى .. إنها أغرب غيبوبة يواجهها العلم والطب .. إنها حالة خاصة جدًّا على حدّ قولهم .

سألها وقد بدأت دموعه تسيل بدورها :

ـــ وهل .. هل سيشفى ؟

أخفت وجهها بكفَّيها ، وأجهشت ببكاء حار ، وهى تقول :

ـــ من يدرى ؟ .. ربما يستيقظ الآن ، وربما يقضى عمره كله متأرجحًا بين الحياة والموت هكذا ... ربما قُدِّر له ألا يستمتع بهذا العالم الذى أنقذه من الاحتلال والقهر ، ولا بانتصاره ، بعد أن هزم الموت الأزرق ، الذى جاء إلينا بالسماء المظلمة ، من وراء النجوم .

* * *

[تمت بحمد الله]